مذكرة مقرر: الأديان (٣)

كلية الدعوة وأصول الدين

١–التعريف بالسيخية. السيخ: كلمة سيخ كلمة سنسكريتية تعني المريد أو التابع

وهم جماعة دينية من الهنود الذين ظهروا في نهاية القرن الخامس عشر، وبداية القرن السادس عشر الميلاديين، داعين إلى دين جديد، زعموا أن فيه شيئاً من الديانتين الإسلامية والهندوسية، تحت شعار (لا هندوس ولا مسلمون).

٢–نشأة السيخية وتطورها:

أولًا: مؤسس السيخية:

ينتسب «السيخيون» إلى «السيخ » ، وقد أطلق المصطلح لأول مرة على أتباع المعلم نانك (١٤٦٩ – ١٥٣٩م) الذي ظهرت دعوته في البنجاب (الهند) ومازال أتباعه يتركزون هناك حيث توجد العاصمة الروحية للسيخ (Amritsar أمرتسر) كما يتوزعون على كثير من العواصم العالمية الأخرى.

فمؤسس السيخية هو نانك، ويدعَى (غورو) أي: المعلم، ولد سنة (١٤٦٩) م، في قرية ري بوي دي تلفندي التي تبعد (٤٠) ميلاً عن لاهور، كانت نشأته هندوسية تقليدية.

نشأ في بيت هندوسي، وكان منذ صغره محباً للخلوة، والوحدة، وكان لا يشارك أحداً في اللهو، ولا يحب الاختلاط، بل كان يأنس بالعزلة.

وكان أقاربه يعدونه خارق الذكاء والفطنة، ولكنَّ والديه يعدانه مريضاً نفسياً؛ لذلك أرسله والده إلى المدرسة؛ لكي يصرفه عن تلك العزلة الغريبة.

وبعد فترة فُوجئ الوالد بتفوق طفله الذي أتقن اللغات الهندوسية، والسنسكريتية، والفارسية بسرعة تفوق التصور، ومع ذلك لم تتغير عادته في إيثار العزلة.

وعندما شب عن الطوق شرع في دراسة الديانات المتعددة المعتنقة من قبل الشعب الهندي، فدرس الهندوسية، والبوذية والإسلام؛ فكان يدرس ما يراه صحيحاً، ويدع ما لا يوافق قناعاته حتى ظفر برجل صوفي هندي يُسمى سيد حسين درويش، فأعجب بفكرته، وتصوفه؛ حيث كان هذا الصوفي يرى أن كلَّ دين حق وصواب، وأن العبادة يقبلها الله أياً كانت ومن أي أحد كان.

ومن هنا أسس نانك أصوله على دين هذا الصوفي، ودعا الناس إليه، فقبل دعوته عشرات من الهنادك، وكذلك بعض المسلمين.

وقد خرج نانك من أرض البنجاب، وجعل يسيح في الأرض ينشر دعوته، وقد سافر إلى عدد من البلاد منها مكة والمدينة.

وكان يدعي حب الإسلام وكان مشدوداً إلى تربته وجذوره الهندوسية؛ مما دفعه لأن يعمل على التقريب بين الإسلام والهندوسية، ويطلق شعاره: (لا) هندوس ولا مسلمون.

وتذكر بعض المصادر التاريخية أنه حج مع رفقائه، وبقي أياماً في مكة، ثم سافر إلى كربلاء.

وأنه حينما خرج للسفر إلى مكة كانت بيده سجادة، وإبريق للوضوء، والقرآن الكريم.

ويرى بعض الباحثين أن نانك كان يكره الديانة الهندوسية، ويخالفها أشد المخالفة، وأنه أخذ بعض عقائد المسلمين وتعاليمهم؛ فلم يكن هندوسياً ولا .مسلماً.

ولذلك فهو لا يرى قداسة كتب الهندوس ككتاب (الفيدا)، وكان لا يرى نظام الطبقات المعروف عند الهندوس، ولا عبادة التماثيل، ولا حرق الميت؛ ولذلك ذكرت بعض المصادر أنه لما مات حضره أناس من المسلمين وأناس من الهنادك؛ فالمسلمون طلبوا جثته للصلاة عليه ودفنه؛ لظنهم أنه مسلم ، والهنادك طلبوها لإحراقها، لظنهم أنه هندوكي، فقام بينهم نزاع.

وقد نسج حول هذه الحادثة قصة مفادها أنهم ذهبوا إلى الحجرة التي مات فيها ، فلم يجدوا جثته، بل وجدوا رداءً ملقى على موضع جثته ، فشق الرداء نصفين، وأعطي كل فريق منهم نصفه فذهب به كل فريق، وأدوا مراسم الجنازة به.

ولعل هذه القصة نسجت لإظهار كرامته، أو لحسم نزاع الفريقين، وأبعدت جثته من تلك الحجرة.

ويبدو من قراءة كتابه أنه درس من تعاليم الإسلام ما استطاع، وتأثر ببعضها، وقد كتب بعض المؤرخين أنه كان مسلماً؛ لذا كانوا يترحمون عليه.

وهذا بعيد جداً؛ إذ لو كان مسلماً لدعا إلى الإسلام، ولم يخترع ديناً جديداً.

وربما كان سبب ادعائهم الإسلام له ورود بعض العبارات في كتابه؛ بحيث يوجد بها بعض الروح الإسلامية كقوله: اقرأ كلمة الإله التي معها اسم محمد محبوب، وقد ضحى بما لديه في سبيل الله وكذلك كان يذكر في كتابه القرآن والرسول، واليوم الآخر، والرحمن والرحيم، وغيرها من الكلمات الإسلامية.

ولكن ذلك ليس كافياً بالحكم له بالإسلام، ولذلك كانت السيخ تقول: إن نانك لم يكن مسلماً، ولا هندوكياً، وإنما كان يُحب فقراء المسلمين، وفقراء الهنادك

أنشأ المعبد الأول للسيخ في كارتاربور بالباكستان حاليا، وقبل وفاته عام (١٥٣٩) م عيَّن أحد أتباعه خليفة له، وقد دفن في بلدة ديرة بابا ناناك من أعمال البنجاب الهندية الآن، ولا يزال له ثوب محفوظ فيه مكتوب عليه سورة الفاتحة وبعض السور القصيرة من القرآن.

ثانيًا أئمة السيخ وخلفاؤهم: خلف نانك خلفاء وأئمة للسيخ، وعددهم تسعة، وهم:

١ – الخليفة الثاني : مع أن (نانك) كان له ولدان إلا أنه اختار لنشر تعاليمه من بعده أحد أتباعه وهو " أنكد"، وهذا الاختيار أثار دهشة أهل البنجاب، وأشتهر بعده هذا المعلم الثاني الذي عاش ما بين ١٥٠٤م، ١٥٥٢م ، بتنظيمه وترتيبه لكتابات المعلم الأول وجمعها في كتاب أطلق عليه اسم الكوزوموكهي Gurmukhi الذي يعني – من فم المعلم وكذلك أسس مراكز لتدريب تعاليم مؤسس العقيدة السيخية ، ففترة خلافة أنكد كانت فترة استقراء وتوجه للمحافظة على التراث المكتوب والشفاهي الذي تركه المعلم نانك .

٢–الخليفة الثالث: قبل وفاة المعلم الثاني أختار أمر داس" ١٤٧٩م، ١٥٧٤م، ليكون المعلم الثالث ، إذا اعتبرنا فترة خلافة أنكاد المرحلة التأسيسية لبلورة وتجميع وتثبيت فكر نانك وتعليماته فإن مهمة (أمر داس) كانت هي مرحلة التبشير بهذا الفكر خارج البنجاب، فقد اتخذ نيفاً وعشرين مركزاً تبشيرياً في شتى أرجاء الهند للدعوة السيخية، وشعوراً منه بالوحدة الدينية السيخية ولكسب ما أمكنه من الفقراء أسسس المطاعم الشعبية لإطعام الناس مجانا وهي المطاعم المسماه (LANGAR) وهو التقليد المتبع اليوم في كافة المعابد السيخية ويظهر أن أمار داس كان يفكر بطريقة متقدمة على عصره فقد أظهر من الود والكياسة للدولة الإسلامية ما جعل الإمبراطور المغولي المسلم (اكبر) أن يزوره في مقره بكويندوال على نهر بياس وأن يهبه أرضا كبيرة مما زاده هيبة ومكانة في نفوس أتباعه ومن يجاورونهم من الهندوس، وهذه المكانة جعلته أن يُعلن صراحة عن استهجانه للعادة الهندوكية في حرق الأرامل لأنفسهن بعد وفاة بعولتهن وهي العادة المسماة (ساني) وما كان لأحد أن يقول مثل هذا الأمر في ذلك العصر لشدة البراهمة وتعصبهم يومذاك وتخلف المجتمع الهندوسي المقتنع تماماً بآراء كهنته الذين كانوا يقودونه كالأغنام قيادة عمياء بعيدة عن الإنسانية. وقد أدرك أمار داس بثاقب فكره ضرورة تأسيس مواسم يتحلق عندها الأتباع ويزيد بها ترابطهم وتماسكهم فأقام احتفالات متميزة للولادة والزواج والوفاة، وأسس نظام مانجي وهو نظام أولي للرقابة الرعوية، وحدد ثلاثة احتفالات هندوسية باعتبارها كذلك احتفالات للسيخ، وعلى عهد أمار داس نبذت الطبقية فكان هذا إيذاناً لتطور جماعة السيخ، فالمعلمون الروحيون أنفسهم كانوا جميعاً ينتمون إلى طائفة الكشتري والتي تشتغل بالتجارة والكهانة وتقديم القرابين والصدقات وحمل السلاح للدفاع عن المعابد وكافة الشعب، وكان الكثير من تلامذة المعلمين الروحيين هم من تلك الطبقة، وخلال الفترة نفسها بدأ أتباعها القادمون من الطبقة الدنيا المسماة فيشية (وهي أسفل الطبقات بحسب نظام الطبقات الهندوسي ووظيفتها خدمة

الطوائف السابقة في أمس حاجاتها وتسمى الآن بطائفة المنبوذين) لقد استمالتهم تعاليم السيخ وبدأوا باعتناق السيخية فراراً من الأذى والحقارة التي لحقت بهم من الطبقات الهندوسية العليا وكان جميعهم من الفلاحين الكادحين المضطهدين، وقد كثر عددهم داخل الجماعة وأصبحت هوية السيخ متأثرة بوجود هؤلاء

توفي أمر داس عن عمر ناهز الرابعة والثمانين وقد دامت خلافته اثنتين وعشرين سنة (١٥٥٢ – ١٥٧٤م) بعد إنجازات كبيرة لطائفته وخلفه صهره زوج ابنته رام داس

٣–الخليفة الرابع : قبل وفاة المعلم الثالث أختار صهرة رام داس ١٥٣٤م، ١٥٨١، ليكون المعلم الرابع، وهذا المعلم هو الذي شرع في بناء قطعة الأرض التي أعطيت لهم زمن المعلم الثالث، فبنى عليها حوضا للمياه لكي يغتسل فيها اتباعه الأغسال الدينية المفروضة عليهم وقد أطلق على تلك البحيرة الصغيرة اسم الرحيق المقدس، وبنى مدينة صغيرة حول الماء المقدس عرفت باسم أمرتسر ، وفيها بدأ السيخ بناء معبدهم الذهبي عام. ١٥٧٥م

٤– الخليفة الخامس: خلف رام داس ابنه أرجون ١٥٦٣م – ١٦٠٦م، كمعلم خامس، وقد استهل أعماله بإكمال ما بدأه والده في تأسيس المعبد الذي نذره لله (هار مندر) والمعروف الآن بالمعبد الذهبي في أمرتسر ، واتخذ خطوات تعطي السيخ قناعات أنهم طائفة خاصة تختلف عن المسلمين والهندوس، وجمع كل ما كتبه المعلمون الذين سبقوه في كتاب أصبح يعرف بالكرنت صاحب، وهو الكتاب المقدس الأساسي للسيخ الذي يضم حوالي سبعة آلاف ترنيمة يقرأه أتباع المذهب.

وهذا الكتاب من تعاليم الجورو الأول "نانك"، ويتضمن بعض النصوص الإسلامية والهندوسية، ووضع هذا الكتاب في المعبد الذهبي الذي شيد وسط بركة كبيرة في مدينة أمرتسر ، ونسجت بعض الأساطير حول هذا الموقع ومن ذلك قولهم إن رام داس شاهد فيه بركة عطرة الرائحة، حط عليها عصفور مكسور الجناح، فما لبث أن طار، ويقولون إن الغربان تتحول فيها إلى بجعات بيضاء، وإن ماءها يشفي من البرص، والآن يتطهر السيخ بمائها المقدس عندهم، ويتباركون به . وأعلن أرجون أن الاغتسال في حوض رام داس يمحو الذنوب جميعا، وبهذا بدأ السيخ يجلون المعبد المذكور ومياهه المقدسة حتى أصبح سمة عبادية مخصوصة بهم ومركزا حقيقيا لحياتهم اليومية.

وكانت أكبر مشاركة لأرجون في تاريخ طائفته هو موته في مايو عام ١٦٠٦م، على أيدي سجانيه تعذيبا زمن حكم الإمبراطور جهانكير وهو الإمبراطور الذي حكم ما بين سنة ١٦٠٥ – ١٦٢٦م ، بسبب

تحالفه مع ابن الإمبراطور خسرو الذي كان يطمح إلى نزع السلطة عن والده .
وكان "أرجون" شديد العداء للمسلمين والهندوس، ولهذا ذكر كثير من الكتاب أن أفعاله فتحت الباب أمام انتقال السيخ من طائفة مسالمة إلى طائفة محاربة متطرفة .
٥-الخليفة السادس: أختار "أرجون" ابنه "هر كوبند"، كانت نهاية أبيه أثارت في قلبه وقلوب أتباعه روح الانتقام من السلطة المغولية، واتخذ لقب "ساجا باد شاه" أي الملك الحق، وجند طائفة من الساخطين وكل من يحمل الكراهية ضد السلطة المغولية، وعاث في السهول نهبا وسلبا، وبلغ خبره مسامع الإمبراطور جهان كير، فاستدعاه وحاول استمالته ثم اعتقله وأطلق سراحه بعد ذلك، وعاد لما كان فيه، وخلف "جهان كير" "جهان شاه ودارت عدة معارك بينهما وخشي المعلم على نفسه في نهاية الأمر، واعتصم بالجبال وعاش فيها حتى مات سنة ١٦٤٥م .
٦-الخليفة السابع: "هري رأي". بعد موت المعلم السادس تولى حفيده "هري رأي" أمر الطائفة، كان فيلسوفا ومفكراً، وكان يميل إلى الاتحاد بين المسلمين والهندوس، ووضع أفكاره في كتابه مجمع البحرين والذي قرب فيه بين الفيدانتا الهندوكية والصوفية الإسلامية، وكانت وفاته سنة ١٦٦١م ، ودفن في قرية كيرات بور صاحب.
٧- الخليفة الثامن: "هري كرشنا " . وهو الابن ونازعه شقيقه الأكبر، فاستدعي إلى دلهي لحل النزاع بينه وبين شقيقه فمات هناك سنة ١٦٦٤م، وكانت ولادته سنة ١٦٥٦م، وتولى رئاسة السيخ ثمان سنوات .وكانت فترة زعامة المعلم السابع والثامن للطائفة السيخية فترة عادية، لم تشهد الكثير من المتغيرات أو الإنجازات ذات الأثر التاريخي .
٨- الخليفة التاسع: هو تيغ بهادور"، اشتهر أنه أستدعي من قبل إمبراطور المغول الذي كان يحكم البلاد حينذاك، وبعد وصوله إليه وضعه الإمبراطور بين خيارين إما إشهار إسلامه أو الموت، ويقال إنه قال للإمبراطور إنه مستعد على القيام بمعجزة تحول دون إمكان أي سيف قطع رقبته، وقيل إنه كتب ورقة صغيرة لفها حول عنقه، فلما قطعت عنقه فتحت الورقة التي كتب فيها لقد سلمتكم رأسي ولم أسلمكم أسراري، وكان ذلك سنة ١٦٧٥م .
٩-الخليفة العاشر: هو "غوبند سنغ أصبح معلما وعمره تسع سنوات، تعلم فنون الحرب، وأخذ في تنظيم محاربين سيخ وهو في مدينة "أناندبور"، الواقعة على سفوح جبال الهملايا، وكان يعرف أن مهمة تحويل السيخ من مسالمين إلى محاربين أشداء تحتاج إلى جهد وليست بالأمر السهل، وعلمهم خيار السيف إذا

فشلت الوسائل الأخرى في الحصول على الحق.

وقد بذل قصار جهده لتوحيد أتباعه وحملهم على نبذ خلافاتهم والتوجه لإقامة سلطنة سيخية خاص بهم وحرم عليهم التدخين كما فرض عليهم الأصول المعروفة لدى السيخ باسم الكافات الخمس لأن أسماءها تبدأ بلغتهم بحرف كاف وهي:

١ – الكش: عدم قص الشعر الذي ينبت على الجسم أينما نبت، فلا يجوز قص ولا تشذيب شعر الرأس ولا اللحية ولا الشارب ولا الإبط ولا العانة، وذلك من المهد إلى اللحد وذلك لمنع دخول الغرباء والأعداء في جماعة السيخ لأن المتجسس لا يستطيع أن يطيل شعره ليندمج فيما بينهم

٢ – الكرا : أن يلبس الرجال سواراً من الحديد في أيديهم للتذلل كما يفعل الصوفية

٣ – الكنغا: أن يضعوا في شعر رؤوسهم مشطاً لترجيل الشعر كي لا تستقر به الحشرات.

٤ – الكانشا أن يلبس الرجال تباناً (السروال القصير) مثل تبان السباحة فلا يخلعونه أبدا، وذلك إشارة إلى شرف الرجل المقاتل وحفظ الفرج

٥ – الكريان أن يتمنطقوا بحربة أو بخنجر كي يدفعوا بها عن أنفسهم العدو عند الضرورة وليستوحوا من حملها الشجاعة

ووضع غوبند شريعة (الباهول) وتعني التعميد بحسب المراسم التالية: (يجلس المريد بعد الغسل ولبس الثياب الطاهرة وسط جماعة تعقد بصفة عامة لهذا الغرض، ثم يأتي بشيء من السكر يذاب في الماء في حوض من الحديد ويتعاقب على تحريكه بخنجر ذي حدين خمسة من السيخ مرتلين آيات من (الكرانت صاحب)، ثم ينضح بهذا المحلول شعر المريد وجسده ويعطى شيئاً منه يشربه، وترشح له قواعد رهت السلوك السيخي، ويسمى المحلول أمرت الرحيق القدس ، ويعتقد السيخ أنه يهب للمريد الخلود، ويجعل منه سنغ أي أسداً وكشترياً حقا، وهذا الطقس لابد منه لكل مريد قبل أن يلتزم بالكافات الخمس التي مر ذكرها.

ثم أطلق الخليفة العاشر (غوبند سنغ) على مريديه المعمدين اسم ال«خالصة» أخذاً من اللفظة العربية «الإخلاص»، وهو يريد بذلك الجنود المخلصين أو الخلّص الأنقياء كما أمر بإضافة كلمة (سنغ) أي الأسد في نهاية اسم كل واحد منهم وكذلك إضافة اسم كور في حالة النساء ولم يكن يومذاك ليس العمامة ضرورياً غير أن أصبح لازماً بعد الإصرار على عدم قص الشعر.

وبعد رسم تلك الطقوس ودخل في حروب عديدة، أدت إلى هروبه أكثر من مرة، وقتل أولاده الأربعة في فترات متفرقة، وفي نهاية الأمر استقر به المقام في ديكان مع الإمبراطور بهادور شاه، وفي مدينة "ناندید قتل

المعلم العاشر، سنة١٧٠٨م، بعد أن غرس في نفوس أتباع العقيدة السيخية إن الموت في ساحة المعركة هو أسمى هدف.

وبموت هذا المعلم توقفت سلسلة المعلمين وانتهى عصر زعامة السيخ برجل واحد، وذكر المعلم العاشر أنه لن يكون بعده معلم، وقال إن كتاب السيخ المقدس هو الذي سيقودهم في المستقبل.

ولم يضمن المعلم العاشر أقواله في كتاب السيخ المعروف بـ "كرانت صاحب" إذ جمع أقواله في كتاب آخر سماه كتاب المعلم العاشر

ومما يذكر أن أبناء الطائفة السيخية لم يكونوا كلهم على وفاق واتفاق مع المعلم العاشر في آرائه المتطرفة التي تقوم على الحرب والقتل، بل بقوا على ما جاء عن المعلم الأول من آراء تحث على السلم وعدم الدخول في الصراع . مع الغير.

٣-**مصادر السيخية** : هناك مجموعتان من الكتابات التي ترتفع إلى مرتبة الكتب المقدسة

المجموعة الأولى :"أدي جرانت" جمعت خلال عامي ١٦٠٣م، ١٦٠٤م، بواسطة المعلم "أرجون"، واستخدم تصنيفا سابقا تم إعداده في فترة سابقة تلبية لوصية المعلم أمر داس"، ثم أضاف إليه مؤلفاته الخاصة، ومؤلفات والده المعلم تاج بها دوره ثم اكتمل أثناء فترة المعلم غوبند سنغ، أو بعدها بقليل، وأضيف لها أيضا بعض المؤلفات الشخصية، والمقاطع الشعرية، وكتبت بلغة سانت بهاشا، وهي مرتبطة باللغة الهندوسية والبنجابية، ويمثل أدي جرانت". الوضع الأخير في تطور عقيدة السيخ، واكتسب أهمية أساسية إبان القرن الثامن عشر، وكانت له السلطة عندهم بعد ظهور ر انجيت سنغ ، ويعرف في احتفالات السيخ اليومية باسم "**جورو كرانت صاحب** ". وهو عبارة عن مجموعة من القصائد الشعرية نظمت على قواعد موسيقية

المجموعة الثانية : " داسام جرانت " جمع في القرن الثامن عشر، من أعمال متنوعة تنسب إلى المعلم "غوبند سنغ"، والجانب الأكبر منه يتألف من حكايات هندوسية، وروايات عن حيل النساء، ولا يمكن أن يكون مما كتبه هذا المعلم، ويمثل هذا الكتاب مصدرا مهما للتاريخ السيخي في القرنين السابع عشر والثامن عشر .

المجموعة الثالثة: تعرف باسم " واران بهائي جور داس". وألف هذا الكتاب الجورو "جور داس"، ويعتبر من أهم المصادر السيخية، ويحتوي على القصائد الشعرية باللغة البنجابية، وتوضح عددا من

الموضوعات التي ذكرها كتاب كرانت صاحب. وبجانب هذه الكتب الثلاثة هناك مؤلفان لهما أهمية عند السيخ وهما بمثابة كتب السيرة، وهذا الكتابان

هما: "جنم ساكي بهائي بالا" و "جنم ساكي بهائي مني سينج". وهما ترجمة لحياة المعلم " ناناك"، وفيهما بعض القصائد التي لم تذكر في الكتب السابقة.

عقائد السيخية :

١ –عقيدتهم في الإله : السيخية في إيمانهم بالله جمعوا بين النقضين التوحيد والشرك ، فتجد في كتبهم التصريح بتعدد الآلهة ، وتجد في مواضع أخرى من كتبهم التصريح بإله واحد خالق للكون، وإليك النصوص الدالة على ذلك

أولاً : النصوص الدالة على تعدد الآلهة في كتب السيخية قال «نانك» في كتابه «كروكرنتها صاحب»: (إن برهما خرج من سرة «وشنو»، وبدأ يرتل أشلوك «الفيد» ولكنه لم يدرك نهاية الرب فبقي في ظلمات (الجولان).

ويقول في موضع آخر: هو: «وشنُو» هو «شيو» هو «بَرْهَما» هو: «بَارَبَتِي» هو: لكشمي» فالذي يريد أن يعبر عن الرب يصمت ويبكم لعدم معرفته به، وبهذا يشهد «البران» وكرشنا والبوذيون والرهبان وأن «دهرما ديوا» يحمدك ويُثني عليك...). (باب جب جي).

هذا الباب هو فاتح الكتاب المقدس عند السيخيين يرتلونه كل صباح مساء، وهو مشتمل على أسماء آلهة الهنادك .

ثانيًا: النصوص الدالة على وحدانية الخالق في كتب السيخية، جاء في كتابهم جب جي : (هو موجود في الحاضر وهكذا سيكون في المستقبل إن الله الذي خلق الكائنات بأسرها، ومثلما هو لم يولد بأحد لن يموت إطلاقاً هكذا. ذلك هو الله الأوحد الذي أوجد العالم على اختلاف الألوان والأجناس وتلك ذاته العظمى التي أتمت خلق الكائنات كلها) .

فالله تعالى في أقوالهم الدينية هو الخالق: (أيها البشر... تحفظ في ذاكرتك صفات الله وتأملها جيدا، وتصور كيف كانت هيئتك في الأصل لا أكثر من قطعة لحم محبوسة في داخل الرحم، إن الله خلقك على هيئة جميلة! ثم جعلك ترى كل العالم ومحتوياته). نصوص دينية سيخية .

ومن خلال أقوالهم فهم يصفون الإله بأنه : قديم، موجود، قائم بذاته، لا مثيل له ،خالق، رحيم، عادل، منزه عن العيوب، وأنه في كل مكان، ومن الصفات الإلهية التي يذكرونها في الكتب المقدسة عندهم، مثل:

جب جي: (إن الله مولانا دائم الوجود وكذلك نظامه وعدله ذو الدوام والاستقرار ...)

وبهذه النصوص يتبين أن السيخية جمعت بين النقضين في إيمانهم بالله ، فهي تؤمن بتعدد الآلهة ، وتؤمن بأن الإله إله واحد خالق للكون وسبب هذا التناقض أن مؤسس السيخية حاول التقريب بين الإسلام والهندوسية فوقع في هذا التناقض .

٢- عقيدة وحدة الأديان: إن فكرة وحدة الأديان والقبول بالآراء والأفكار المختلفة في الهند أمر تقره الهندوسية وتدعو إليه، ويظهر ذلك من التنوع والتعدد الموجود في العقائد عندهم، فالتوحيد والتثليث، وتعدد الآلهة، وجحدها، كل ذلك تجده في الهند، بل إن الكتب المقدسة لديهم تذكر هذا التنوع وتؤيده، واستغل نانك هذه الفكرة وضم إليها الأخذ من الإسلام بعض الأصول التي رأى أنها تتفق مع الفطرة البشرية، وليس هذا إلا نزعة نفسية جرته إلى ذلك للحصول على الزعامة الروحية من جميع أصحاب المذاهب والأديان.

يقول «نانك»: (إن الهنادك لهم ست مدارس فكرية، وكل مدرسة لها مؤسسها والمنتمون إليها، وجميع المؤسسين ينهلون من معين واحد، وإن اختلفت مظاهرها وتقاليدها وعاداتها. فأية مدرسة تؤمن بالخالق وعظمته وقدرته فاقبلها كأنهاهي ضالتك المنشودة. فإن في ذلك تطورا ورقيا. ألا ترى أن الشمس واحدة والجو مختلف. أيها نانك: إن الله واحد، وإن اختلفت أشكال عبادته، وتعددت مظاهر خلقه) .

ويقول الزعيم السيخي «كوبند سنغ» : (لا فرق بين مندر (معبد الهنادك) و مسجد مصلى المسلمين وبين عبادة الهنادك وصلاة المسلمين)

٣-عقيدة الحلول والاتحاد : عقيدة الحلول والاتحاد من العقائد المنتشرة في الهند، وتحدثت عنها كتبهم المقدسة كثيراً، وهذا ما ذهبت إليه السيخية حيث يعتقد السيخ أن الإله موجود في كل مكان، وأنه حال في جميع الكائنات، وفي كتابهم جب جي بعد أن ذكر أن (الرب الخالق الذي هو دائم الوجود في كل مكان) .

ذكر الآلهة شيفا، وبرهما، والآلهة بارباتي، وقال: (فليس هؤلاء كلهم إلا مظهر من مظاهر الله بالذات).

وفيه أيضا: (إن كافة الكائنات التي قد تم تخليقها من قبل الله إنما تدل بدون استثناء على مظهر من مظاهر الله بحيث لا يمكن تواجد أي مكان ما يكون خال من مظهر الله) .

وفيه أيضا: (أيها ربي، هو ذا أنت الذي كيانه دائم الثبات وقائم بالذات أهو ذا أنت موجود في الكائنات كلها، هو أنت بنفسك الكلام الألوهي وهو ذا أنت موجود في الإله برهما يعني الإله خالق العالم...)

ويقول نانك مؤسس السيخية في «كروكرنتها صاحب» : (أنت القلم وأنت الخط، وأنت الحبر وأنت الطاولة). .

ويقول في موضع آخر:(أنت السمك، وأنت الشبك، وأنت الصياد، وأنت فقط أنت لا غيرك)

هذه هي عقيدة السيخ في ذات الله سبحانه وتعالى، وهم قد خدعوا المسلمين بدعواهم أنهم يؤمنون بالتوحيد كما أقره الإسلام، ولكن أين التوحيد النقي الصافي من هذه العقيدة الضالة المضلة الداعية إلى الاتحاد والحلول .

٤- عقيدة تناسخ الأرواح: عقيدة الهندوس أن الأرواح تنتقل من جسد إلى آخر دائماً وأبداً، إلا أن تنجو فتتحد بالإله برهما ، وأخذت السيخية هذه العقيدة وأدخلت عليها تعديلاً فأرجعت الأمر إلى الله – سبحانه –، فقالوا:(إلا أن يشاء الله العليم القدير فينجيها من هذا التنقل بلطفه وكرمه) .

وفي كتاب نصوص دينية سيخية (لا يزال المرء يجتاز خلال مراحل متعددة بين ولادة وممات مرة بعد أخرى ولا يتخلص من دوران التناسخ قط إلا أن بمساعدة ذكر اسم الله تعالى، وبذلك يمكنه الحصول على الخلاص الأبدي والسكينة القلبية)

٥-عقيدتهم في النبوة : مؤسس السيخية تأثر بعقيدة الإسلام في إرسال الرسل والأنبياء من بني آدم ، وبقيت هذه العقيدة معروفة عند السيخيين إلى زعيمهم الخامس أرجون داس"، المتوفى سنة ١٦٠١م، الذي أعلن ألوهية جميع المعلمين السابقين، وأدخل عقيدة أفتار في السيخية.

والنبوة عند السيخ مكتسبة يستطيع الإنسان الحكيم أن يصل إليها عن طريق الحدس والتجربة الروحية الباطنية، وعن طريق التأمل والنظر يصعد الإنسان إلى منزلة الإله، وترتقي نفسه وتتقبل الأنوار الإلهية.

وأيضا يكون ذلك عن طريق صفاء النفس، فإذا وصل إلى درجة من الكمال ارتقى من رؤية العالم المحسوس إلى رؤية العالم الروحاني والاتصال بالإله.

وجاء عن بعضهم (إذا أراد النبي أن ينبأ يلتحف بعباءة ويضطجع على الأرض ثم يدمدم ويترنم ويغني، ثم يروي للحاضرين ما تراءى له في رؤياه، ويقول: إني أعرف كل ما يحدث في العصور الحالية، والوقائع الماضية منذ خلق هيجوروا الخلق إلى يومنا هذا).

وهم يذكرون أن عيسى عليه السلام ليس نبيا، بل هو ابن الله، وهو الابن الوحيد للرب، ويقرون بأن محمدا صلى الله عليه وسلم آخر رسل الله تعالى.

٦- عقيدة التعميد :وضع المعلم العاشر شريعة الباهول، وهي التعميد (يجلس المريد بعد الغسل ولبس

الثياب النظيفة وسط جماعته، تعقد بصفة عامة لهذا الغرض، ثم يؤتى بشيء من السكر يذاب في الماء في حوض من الحديد ويتعاقب على تحريكه بخنجر ذي حدين خمسة من السيخ مرتلين آيات من الكرانت صاحب ثم ينضح بهذا المحلول شعر المريد وجسده ويعطى شيئا منه يشربه وترشح له قواعد رهت السلوك السيخي، ويسمى المحلول أمرت الرحيق القدس، ويعتقد السيخ أنه يهب للمريد الخلود ويجعل منه سنغ أي أسدا وكشتريا حقا، وهذا الطقس لا بد منه لكل مريد قبل أن يلتزم بالكافات الخمس التي مر ذكرها)

وقد أجمعت المصادر على وصف عقيدة المعلم الأول والأربعة الذين خلفوه بالعقيدة السلمية، لكونها لا تؤمن إلا بالطرق السلمية لتحقيق أهدافها، غير أن قتل معلمهم الخامس، ثم التاسع، دفعت إلى الانقلاب في مبادئ هذه العقيدة، إذ تغيرت فكرة السلام إلى فكرة أخذ الحق في نظرهم بالقوة، يقول غوبند سنغ: إذا فشلت جميع الوسائل السلمية في التصدي للاضطهاد فمن حقك أن تسحب سيفك ، ويؤمن العديد من السيخ بأن مصير غاندي جاء تطبيقا لهذه التعاليم.

فرق السيخ :

١ – الكشد هارية: هم السنغوات أي الأسود وكلهم من السيخ المعمدين المتمسكين بسنة الكورو غوبند سنغ

٢ – السلجد هاريه: وهم الذين رفضوا التعميد وانحازوا إلى الخالصة المؤمنين بالقتال.

٣ – النان كبان تهيه: وهم من غير السنغوات ممن لا يؤمنون بالسنن التي فرضها غوبند سنغ على أتباعه فهم لا يحرمون التدخين ولا يعمدون بالباهول ولا يُرسلون شعورهم كالآخرين.

٤– الاداسية (المنكرون) لسنة غوبند أيضاً غير أنهم يتسمون بالزهد ولا يتزوجون وهم قلة قليلة.

٥– الأكالية: وهم عبدة آكال الباقي القديم، وهم طائفة متعصبة من المغالين بالكورو غوبند والمحافظين على سنته ونزعته الحربية.

٦ – البنداين تهيه أو البندائية: ممن أظهروا اعتقادهم بالقائد (بنده) وخالفوا سائر السيخ الذين اعتبروا (بنده) مبتدعاً بادعائه خلافة المعلمين المقدسين.

٧ – المزبية (أو المزهبية): الكنَّاسون الذين اعتنقوا السيخية بتلقيهم.

٨– الرام داسية: اتباع الكورو رام داس.

٩ – جاط الخالصة الذين أنكروا قدسية (بنده) واعتبروه طارئاً على التعاليم السيخية المقدسة.

العبادة عند السيخ : العبادة كما يراها نانك لا علاقة لها بالشعائر الخارجية كطقوس المعبد، أو صلاة المسجد، أو الحج، أو الزهد، والمقصود القلب البشري وتذكر الاسم الإلهي .

فالسيخية يعتقدون بأن ترديد أسماء الإله يطهر المرء من الذنوب. ويقضي على مصادر الشر في النفوس، وإنشاد الأناشيد (كرانت صاحب) والتأمل بتوجيه من معلم (غورو) كل هذا يؤدي إلى الاتصال بالإله.

و يعتقدون بأن روح كل واحد من المعلمين تنتقل منه إلى المعلم التالي له، وتتم عبادة السيخ في عدة طقوس هي:-

أولا: التلاوة اليومية لفقرات معينة من كتاب كرانت صاحب خصوصا الـ "جب جي"، للمعلم نانك الذي ينبغي أن يقرأ من الذاكرة بعد النهوض من النوم والاغتسال مباشرة .

ثانيا: الطقوس اليومية للأسرة رغم أنها ليست عامة على الإطلاق، فتتجمع كثير من الأسر كل صباح ومعهم نصوص من كتاب كرانت صاحب ويقرؤون فقرات يتم اختيارها عشوائيا.

ثالثا: لقاء مع الأسرة الأكبر وهي أسرة الخلسا (الأخوة الأبرار) في المعبد.

وللسيخ معابد يقيمون فيها عباداتهم ويطلقون على معبدهم اسم كردوارا ويعني بلغتهم بيت المعلم أو بوابة المعلم، وفي أي مكان يستوطن السيخ لابد من بناء المعبد أولاً.

ولهذا تنتشر آلاف المعابد في المناطق السيخية داخل الهند وخارجها، وهناك من أبناء الطائفة من يخصص غرفة في بيته للعبادة.

وأهم ما في المعبد هو كتابهم المقدس كرانت صاحب، وعند دخول المعابد وخاصة الكبيرة منها يفرض على الداخل غسل رجليه قبل الدخول، وتغطية الرأس للجنسين، وعلى المتعبد وضع نقود على قماش الحرير الذي يلف كتابهم المقدس، ثم يركع على ركبتيه، ويمسح جبهته على الأرض، وعندما ينتهي من العبادة عليه ألا يدير ظهره إلى الكتاب المقدس عند انسحابه

وللسيخ أربعة معابد لها عند السيخ قدسية كبيرة منذ زمن المعلم غوبند

الأول منها: المعبد الذهبي في "أمريستار"، وداخل هذا المعبد الذهبي الهيكل المرصع بالجواهر النفيسة، وليس بداخله غير كتابهم المقدس، ويطوف الحجاج حوله، وهم يستمعون إلى الكلمات المنغمة، ليلا أو نهارا، منذ إقامة المعبد، ثم يتناولون العشاء الرباني، من جفنة كبيرة تفيض بالسمن السائل الذي توضع فيه كتل الدقيق والثاني: المسمى تخت سري كيشكار صاحب، في أناندبور، ويعتبر المعبد المقدس الثاني في الأهمية بعد المعبد الذهبي في "أمريستار"، بسبب أول عملية تعميد سيخية جرت هناك.

أما المعبد الثالث: فهو المعروف باسم "أكال تخت"، ومن أسمائه الأخرى عند السيخ هارماندر صاحب ودار بار صاحب، ويشكل جزءا من المعبد الذهبي في أمر يستار" ويعتبر أهم المعابد السيخية في العالم، حيث تصدر منه التعليمات والتوجيهات باعتباره المركز المشرف على الديانة السيخية.

آخر المعابد الرئيسية هو الذي يقع في ناندید في ولاية مهر اشترا، وهو المكان الذي مات فيه المعلم "غوبند سنغ .

وهناك أيضا معابد مهمة تعود أهميتها إلى كونها كانت مكانا لولادة أو موت أو مقتل أحد المعلمين العشرة.

ومما يذكر أن للسيخ خمسة رجال دين كبار يشرفون على شؤون الطائفة بأكملها، ولهم مجلس يحمل صفة إصدار قرارات ذات صفة دينية، وسياسية، من أشهرها سياسيا البيان الصادر في سنة ١٩٨٧م، ويعلن عن توحيد حركات السيخ الانفصالية في تنظيم واحد، ومطالبتهم لأبناء الطائفة بدعم حرب التحرير

الأركان الخمسة عنه السيخية: إن من المظاهر التعبدية – وهي مرتبطة بالعقيدة السيخية، بل يعدها بعض الباحثين من عقائدهم لأهميتها عندهم الالتزام بالكافات الخمسة السيخية، وسميت بذلك لأنها كلها تبدأ بحرف الكاف باللغة البنجابية وهي:

الكش :أي: إطلاق شعر الرأس واللحية دون مس أي شعرة منها بالحلق لمنع دخول الغرباء، والأعداء في جماعتهم.

الكنغا أي: المشط الذي يجب حمله دائما لترجيل الشعر.

الكانشا أي السروال الذي يقترب في طوله من الركبة فقط، إشارة إلى شرف الرجل المقاتل وحفظ الفروج.

الكرا :أي: السوار من الصلب حول المعصم في اليد اليمنى، أو خلخال

الكيربان أي: الخنجر أو السيف ذو الحدين، للدفاع عن النفس وليستوحوا من حمله الشجاعة، ويحرص السيخ على التمسك به

وجاءت أقوال المعلم العاشر عام ١٦٩٩م، بحتمية تمسك السيخي بهذه.الأركان الخمسة

الاعياد عند السيخ:

يحتفل السيخيون في البنجاب في شهر نيسان إبريل من كل عام يعرف بعيد بيساخي وهو اليوم الذي أسس فيه المعلم العاشر "غوبند سنغ" الخالصة .

ويحتفل أيضا في هذا اليوم بكتاب السيخ المقدس "كرانت صاحب"، وفي هذا الاحتفال يوجد موكب

يقوده خمسة قياديين سيخ، ويرقص فيه السيخيون احتفاء بهذه المناسبة، ويحتفل السيخيون بهذا العيد في الهند وغيرها ويطلقون عليه أسماء مختلفة.

ومن الأعياد المهمة عندهم عيد الغورو بوراب، وهو الاحتفال بعيد ميلاد المعلم الأول "نانك"، ويقيم السيخ هذا العيد في مدينة أمريستار، يغنون ويأكلون ويرددون تعاليم "كرانت صاحب" .

ومن أعيادهم عيد ذكرى قتل الجورو الخامس والتاسع. وأعيادهم الأخرى نفس أعياد هندوس الشمال في الهند.

الغناء والموسيقى عند السيخ: ان الموسيقى والرقص لهما أهمية كبرى في بلاد الهند، واتخذ علماء وفلاسفة الهند منهما وسيلة للتعبير عن تخليق الكون ووجوده من عدمه، فهم يسمعون هذه الألحان في جميع أجزاء العالم.

ولم تكن الفكرة السيخيّة في جانب من هذه الفلسفة، فقد كان مؤسسها «نانك» يجيد الموسيقى إلى حد الإعجاب، واتخذها وسيلة لنشر مبادئه حتى رتب كتابه كروكرنتها صاحب على ترتيب الألحان الغنائية التي بلغت واحدا وثلاثين لحناً. ونجد في آخر الكتاب فهرسا طويلا لهذه الألحان، ولكل لحن خمسة فروع وثمانية أصوات (عبره نانك بالزوجات والأولاد) هذا هو الكتاب المقدس عند السيخيين.

يقول الدكتور «جُوبَالُ سِنْعَ أحد رجال السيخ: (أكثر أساتذة السيخيين كانوا يجيدون الموسيقى، وإن المؤسس الأول «نَانَك» كان يغني في المجامع بصوت جميل، ويلازمه رجل من المسلمين يضرب على الطبل بالخشب، ورتب كتابه بالشعر والترنم، حتى عرف دين السيخ بالموسيقى التي لها تأثير كبير في عباداتهم وأداء واجباتهم الدينية، وهو جزء لا ينفك عن السيخيين واشتهر هذا الدين بين الناس بالجمال والحسن. فكل سيخي أو سيخية تجري الموسيقى في أجسامهم كما يجري الدم في عروقهم.

العمامة السيخية: ومما هو عند السيخ من المظاهر الدينية والاجتماعية لبس العمامة، وقد تتخذ هذه العمامة عدة أشكال أو ألوان، والسيخي يلبس العمامة حماية لشعره من السقوط لأنه لا يقص شعره ، وعدم لبسها يعتبر عند أبناء الطائفة أمرا مرفوضا خارجا على التقاليد السيخية، كما أن ضربها أو إسقاطها عن الرأس بالقوة إهانة كبيرة، ويمكن لأبناء السيخ الصغار ارتداءها منذ بلوغهم عمر الخمس سنوات.

والعادة تشير إلى أن كبارهم يلبسون العمامة البيضاء في مراسم الوفاة، وبعضهم يرى وجوبه، واللون الوردي في احتفالات الزواج، واللون الأصفر الفاقع يلبس في الأعياد، وقديما اشتهر السيخي بلبس العمامة السوداء، كدليل على حزنهم على ضحاياهم في حربهم مع البريطانيين، وبعضهم يفضل العمامة ذات اللون

الأزرق الذي كان يلبسه جنود المعلم غوبند سنغ .

الأسماء عند السيخ: يحمل كل سيخي اسم سينغ وتعني عندهم الأسد، والأنثى عندهم تحمل اسم كاور وتعني في اللغة البنجابية اللبؤة، أو الأميرة ، وقصد من معنى الاسم إشعار ابن طائفته بقوته وعظمته.

مراسم الزواج :مراسم الزواج عند السيخ تشابه في معظمها مراسم زواج الهندوس، عدا تقليد قراءة الكتاب السيخي الذي تجب قراءته، ويبالغ السيخيون من ذوي الثراء في بهرج الاحتفالات بالزواج .

ويقام الاحتفال به في المعبد، ويقرأ الكاهن بعض الأدعية من كرانت صاحب ، ويرشهما بماء من إناء يقال إن به ماء مقدساً .

والمرأة كما هو معلوم في شريعة الهند تحرق نفسها بعد موت زوجها، ولكن لم يعد التمسك بهذه العقيدة كما كان من قبل، ويمكن أن تظل الأرملة بدون زواج.

مراسم الوفاة: يحرق السيخ موتاهم كالهندوس، والمحرقة تشعل من ابن المتوفى، أو أقرب أقربائه من الرجال .ولكن التمسك بهذه المظاهر لم يعد كما كان، وخاصة عند الأجيال الحالية، يقول "جفري بارندر (لقد أظهرت السنوات الأخيرة استعدادا لدى شباب السيخ للتخلي عن الرموز الخارجية لعقيدتهم عندما يعيشون خارج الهند، بل إننا نجد علامات مميزة لهذا الاتجاه داخل البنجاب نفسها).

الانتشار ومواقع النفوذ:

لهم بلد مقدس يعقدون فيه اجتماعاتهم المهمة، وهي مدينة أمرتيسار من أعمال البنجاب وقد دخلت عند التقسيم في أرض الهند.

السيخ هم الأقلية الثالثة بعد الإسلام والنصرانية تقطن البنجاب إذ يعيش فيها ٨٥% منهم، فيما تجد الباقي في ولاية هاريانا، وفي دلهي، وفي أنحاء متفرقة من الهند، وقد أستقر بعضهم في ماليزيا وسنغافورة وشرق إفريقيا وإنجلترا والولايات المتحدة وكندا، ورحل بعضهم إلى دول الخليج العربي بقصد العمل.

لهم لجنة تجتمع كل عام منذ سنة ١٩٠٨م، تنشئ المدارس وتعمل على إنشاء كراسي في الجامعات لتدريس ديانة السيخ ونشر تاريخها.

يقدر عدد السيخ حاليًّا بحوالي ١٥ مليون نسمة داخل الهند وخارجها .

نقد السيخية في ضوء الإسلام: السيخية من الديانات الوضعية التي تشتمل على عدد من العقائد والمبادئ الكفرية التي تخالف دين الإسلام ، ويتبين ذلك من خلال ما يلي :

أولًا: أن السيخية تؤله وتعبد المعلمين العشرة من دون الله ، وهذا فرضه عليهم المعلم الخامس أرجن ، وهذا من أعظم الشرك والكفر والضلال قال تعالى {وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} وقال تعالى : {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً}

ثانيًا : السيخية تدعو إلى وحدة الأديان ، وهذا مخالف لما أمر الله به في كتابه بالتزام دين الإسلام وترك ما سواه من الأديان قال تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ) [سورة آل عمران: ١٩] .

وقال تعالى: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) والدعوة إلى وحدة الأديان فيها ترك لأصول كبيرة جاءت بها شريعة الإسلام، ومنها أنها خاتمة الشرائع السماوية، وناسخة لكل الشرائع قبلها، وأنه لا أحد الخروج عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك مما يبطل هذه الدعوة ويخالفها، ولذلك تنبه علماء الإسلام من قديم وحديث لها ولضلالها وانحرافها فبينوا ذلك وردوا على أصحابها، وإذا كان اليهود والنصارى، وهم أهل كتاب وأصل دينهم حق، يجب عليهم الإيمان بدين الإسلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يجوز لهم البقاء على دينهم، ولو لم يُحرف ويُبدل، فكيف بأهل الآراء والأفكار الوضعية التي ينادي أصحابها بها مقارنة بدين الله تعالى الحق.

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله : (أن دعوة المسلم إلى توحيد دين الإسلام مع غيره من الشرائع والأديان الدائرة بين التحريف والنسخ بشريعة الإسلام: ردة ظاهرة، وكفر صريح؛ لما تعلنه من نقض جريء للإسلام أصلا، وفرعا، واعتقادا، وعملا، وهذا إجماع لا يجوز أن يكون محل خلاف بين أهل الإسلام)

ثالثًا: السيخية تعتقد أن عز وجل موجود في كل مكان، وأنه حال في جميع الكائنات، وهذه العقيدة عقيدية نصرانية بين علماء الإسلام بطلانها من أوجه عديدة ، فمن ذلك :

١-أن من الأمور المتقررة في الشريعة الإسلامية المتفقة عليها بين عامة المؤمنين من الأولين والآخرين وأهل السنة والحديث وسلف الأمة، أن الله عز وجل فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته ، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته

٢- أن كل آية في القرآن الكريم تبين أن لله ما في السموات والأرض وما بينهما ونحو ذلك، فإنها تبطل القول بالحلول والاتحاد ، فإنَّ السموات والأرض وما بينهما وما فيهما، إذا كان الجميع له وملكه ومخلوقه

، امتنع أن يكون شيء من ذلك ذاته ، فإن المملوك ليس هو المالك ، والمربوب ليس هو الرب ، والمخلوق ليس هو الخالق ، قال عبد الله بن المبارك أنه قيل له بماذا نعرف ربنا قال بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه

٣- أن الاتحاد بين الخالق والمخلوق ممتنع ،لأن الخالق والمخلوق إذا اتحدا فإن كانا بعد الاتحاد اثنين - كما كانا قبل الاتحاد - فذلك تعدد وليس باتحاد، وإن كانا استحالا إلى شيء ثالث - كما يتحد الماء واللبن والنار والحديد ونحو ذلك مما يشبته النصارى بقولهم في الاتحاد - لزم من ذلك أن يكون الخالق قد استحال وتبدلت حقيقته كسائر ما يتحد مع غيره؛ فإنه لا بد أن يستحيل، وهذا ممتنع على الله تعالى ينزه عنه؛ لأن الاستحالة تقتضي عدم ما كان موجودًا والرب تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته اللازمة له يمتنع العدم على شيء من ذلك ،ولأن صفات الرب اللازمة له صفات كمال فعدم شيء منها نقص يتعالى الله عنه

٤-أن اتحاد الخالق بالمخلوق يقتضي أن يكون الرب متصفًا بنقيض صفاته: من الحدوث والفقر والذل ، والعبد متصفًا بنقيض صفاته من القدم والغنى الذاتي والعز الذاتي وكل ذلك ممتنع

٥-أن هذا أمر لم يدل عليه عقل ولا نقل، ولا نطق نبي من الأنبياء بأن الله يحل في بشر، ولا ادعى صادق قط حلول الرب فيه، وإنما يدعي ذلك الكذابون، كالمسيح الدجال الذي يظهر في آخر الزمان، ويدعي الإلهية، فينزل الله تبارك وتعالى عيسى ابن مريم مسيح الهدى، فيقتل مسيح الهدى الذي ادعيت فيه الإلهية بالباطل المسيح الدجال الذي ادعى الإلهية بالباطل، ويبين أن البشر لا يحل فيه رب العالمين.

رابعًا : السيخية تعتقد أن النبوة مكتسبة يستطيع الإنسان الحكيم أن يصل إليها عن طريق الحدس والتجربة الروحية الباطنية ، وهذه دعوى باطلة، تزعمها الفلاسفة والصوفية الملاحدة، ومن سلك سبيلهم من أهل الضلال، وذلك أن النبوة اصطفاء من الله تعالى لمن يشاء من عباده، قال تعالى: (اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَيْكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) فالله تبارك وتعالى يخبر أنه يختار من الملائكة رسلا فيما يشاء من شرعه وقدره، ومن الناس لإبلاغ رسالته، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ أَي: سميع لأقوال عباده، بصير بهم، عليم بمن يستحق ذلك منهم، كما قال الله : { اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يجعل رِسَالَتَهُ }

قال شيخ الإسلام : (النبوة لا تنال باكتساب الإنسان واستعداده كما تنال بذلك العلوم المكتسبة والدين المكتسب فإن هؤلاء القوم ما قدروا الله حق قدره ولا قدروا الأنبياء قدرهم لما ظنوا أن الإنسان إذا كان فيه استعداد لكمال تزكية نفسه وإصلاحها فاض عليه بسبب ذلك المعارف من العقل الفعال كما يفيض الشعاع على المرأة المصقولة إذا جليت وحوذي بها الشمس وأن حصول النبوة ليس هو أمرا يحدثه الله

بمشيئته وقدرته وإنما حصول هذا الفيض على هذا المستعد كحصول الشعاع على هذا الجسم الصقيل صار كثير منهم يطلب النبوة كما يحكى عن طائفة من قدماء اليونان وكما يعرض ذلك لطائفة من الناس في أيام الإسلام ولهذا عظم نكير الناس على صاحب كيمياء السعادة وصاحب المضنون به على غير أهله ومشكاة الأنوار لما كان في كلامه ما هو من جنس كلام هؤلاء الملاحدة وقد عبر عنه بالعبارات الإسلامية والإشارات الصوفية وبسبب ذلك اغتر صاحب خلع النعلين وابن سبعين وابن عربي وأمثالهم ممن بنى على هذا الأصل الفاسد بل لا بد في النبوة من إيحاء إلهي يختص الله به من يخصه بذلك من عباده بمشيئته وقدرته وهو سبحانه عالم بذلك النبي وبما يوحيه إليه من الوحي وبقدرته خصه بما خصه به من كراماته)

خامسًا: تؤمن السيخية بعقيدة تناسخ الأرواح وأن الروح تنتقل من جسد إلى جسد دائما وأبدا إلا أن ينجيها الله من هذا التنقل ، وهذه عقيدة كفرية كسائر عقائدهم لمخالفتها لشريعة الإسلام، ولكل شريعة جاءت من رب العالمين فما من نبي إلا وجاء بما يخالفها، وكفى بهذا في الحكم عليها وبيان بطلانها، واليقين بفسادها.

ومما يدل على بطلانها أيضاً أن الله تعالى قضى ألا تعود الروح إلى هذه الدنيا، وإن وجد لها تعلق فببدن صاحبها، بما يناسب الحياة التي انتقلت إليها، قال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ }

ومن ذلك ما جاءت به السنة النبوية من إخبار عن تمني الشهداء عودتهم إلى الدنيا، ليقتلوا في سبيل الله تعالى، ولكن الله تعالى قضى ألا تعود هذه الأرواح إلى هذه الدنيا. وإذا كان الأمر كذلك فإن ما خالف كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكل ما جاء به الأنبياء عليهم السلام من قبل حقيق أن يكون باطلا فاسدًا يقول ابن حزم : (وَأَمَّا مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْأَرْوَاحَ تُنْقَلُ إلَى أَجْسَادٍ أُخَرَ فَهُوَ قَوْلُ أَصْحَابِ التَّنَاسُخِ، وَهُوَ كُفْرٌ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ)

الفصل السابع: الطاوية

المبحث الأول:
التعريف بالطاوية

اختلفت اتجاهات الباحثين في تعريف الطاوية بين اتجاه يعرفها بأنها ديانة، واتجاه آخر يعرفها بأنها فلسفة.

أما من عرفها بأنها ديانة، فيقول -كما جاء في المعجم الفلسفي- بأنها (ديانة صينية شعبية، تجمع بين عبادة السلف والطبيعة والأرواح، فيها قدر من تعاليم لاوتسي ومن معتقدات أخرى، ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد، وعارضت السيطرة والاضطهاد، وحبذت العودة إلى حياة الفطرة)[١]، وكما جاء في الموسوعة الميسرة بأنها: (إحدى أكبر الديانات الصينية القديمة، التي ما تزال حية إلى اليوم، إذ ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، وتقوم في جوهر فكرتها على العودة إلى الحياة الطبيعية والوقوف موقفا سلبيا من الحضارة والمدنية، وكان لها دور هام من خلال سيرتها في البحث عن إكسير الحياة، ومعرفة سر الخلود)[٢].

أما من يعرفها بأنها فلسفة، فيقول -كما جاء عند جون كولر- بأنها (فلسفة تؤكد على الحاجة إلى العودة إلى نهج الطبيعة)[٣]، وكما جاء في قاموس المذاهب والأديان بأنها (عقيدة فلسفية يدين بها عدد كبير من الصينيين، وهي ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد)[٤].

والحقيقة أنها ليست مجرد ديانة، وليست أيضا مجرد فلسفة، بل هي ديانة وفلسفة معا، فلا يصح تعريفها بأنها مجرد ديانة، كما لا يصح تعريفها بأنها مجرد فلسفة، ولذا يقول جوزيف نيدهام: (النظام الطاوي كان مزاجًا فريدًا بين الفلسفة والدين)[٥]، ويقول جفري بارندر:

---

(١) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية (ص: ١١١).
(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٢/ ٧٣٥).
(٣) الفكر الشرقي القديم: جون كولر (ص: ٣٢١).
(٤) قاموس المذاهب والأديان، د. حسين علي حمد (ص: ١٤٧).
(٥) موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين، جوزيف نيدهام (ص: ١٤٨)، ترجمة: محمد غريب جودة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(التاوية أو الطاوية: ديانة ومذهب فلسفي في وقت واحد، أسسها في القرن السادس قبل الميلاد لاو تسو، يخاطب العواطف، وينزع إلى التأمل الصوفي، حاول أنصاره فيما بعد العناية بالكيمياء بحثا عن إكسير الحياة)[١].

فالتعريف المختار للطاوية: أنها ديانة وفلسفة صينية ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، أسسها لاوتسي تهدف إلى الاتحاد بالطاو، ولا تزال موجودة حتى اليوم[٢].

سبب التسمية:

اسم الطاوية لم يشتق من اسم مؤسسها كما هو الحال مع الكونفوشية، وإنما سميت بذلك نسبة إلى (الطاو) الذي يسعى أتباعها للبحث عنه والاتحاد به، والطاو هو الطريق، أي: الطريقة التي يعمل بها الكون ويسير بمقتضاها، لا طريقة الحياة في إطار المجتمع البشري[٣].

وتكتب في بعض المصادر (الداوية)[٤]، أو التاوية[٥]،كما ذكر بعض الباحثين أنها تسمى (الداوسية)، أو (التاوزمية)[٦]، وربما كان هذا ناشئًا عن اختلاف الترجمة.

---

(١) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر (ص: ٤٢١)، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، وانظر: المدخل في تاريخ الأديان، د. سعيد مراد (ص: ٢٠٢).

(٢) انظر: موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين (ص: ١٩٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص: ١٤٨، ١٥٠).

(٤) انظر: معجم الصينية العربية، وانغ شي تشن وآخرون (ص: ٣٩٠)، إصدارات معهد بحوث الحضارة العربية الإسلامية، قسم اللغة العربية والحضارة العربية، جامعة بكين، الصين، قصة الديانات، د. سليمان مظهر (ص: ٢٢٦).

(٥) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر (ص: ٤٢١)، المدخل في تاريخ الأديان، د. سعيد مراد (ص: ٢٠٢).

(٦) انظر: التاوية وعقيدتها في الألوهية من خلال كتابها المقدس، إبراهيم محمد خالد برقان (ص: ٨٢)، منشور ضمن مجلة كلية الشريعة، بالجامعة الأردنية، العدد: ٤، المجلد: ٤٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني:
نشأة الطاوية

ترجع نشأة الطاوية إلى القرن السادس قبل الميلاد[١]، أما التسمية فقد ظهرت في وقت متأخر خلال مملكة هان الأولى في القرن الأول قبل الميلاد، وذلك مع اندماج بعض التيارات والعقائد في عقيدة واحدة[٢]، وأصبحت ديانة رسمية في القرن الثاني الميلادي الذي شهد نشأة أول مؤسسة دينية طاوية، وهذا ما يشير إليه المؤرخ الصيني سانغ جي من أن الغالبية يعتقدون أن الطاوية تشكلت في القرن الثاني الميلادي[٣]، ثم ازدهرت وانتشرت في القرنين الثالث والرابع بعد سقوط أسرة هان[٤].

ومؤسس الديانة الطاوية هو لاوتسي[٥] الذي يعده الكثيرون أعظم فلاسفة الصين، والمعنى الحرفي لاسمه: المعلم العجوز[٦]، والاسم الحقيقي له هو: لي ييه يانج[٧]، وقيل: إن اسمه الشخصي أوول وو، واسمه الفخري يي يانغ، واسمه بعد وفاته شي تانغ[٨].

وقد ولد في قرية كيكو زين من دائرة ليي في مقاطعة كوك التابعة لمملكة سو، التي تقع قريبًا من مدينة بكين الآن[٩].

وقد ولد لاوتسي قبل كونفوشيوس بأكثر من خمسين سنة[١٠]، والكثير من المصادر تحدد تاريخ ميلاده سنة ٦٠٤ ق.م، وتاريخ وفاته سنة ٥١٧ ق.م[١١].

وقد دار حول شخصيته كثير من الجدل، هل هو شخصية حقيقية أم أنه شخصية

---

(١) انظر: الفلسفة في الشرق، بول ماسون (ص: ١٨٢) هامش: ١، ترجمة: محمد يوسف موسى، الفكر الشرقي القديم (ص: ٣١٥).

(٢) تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة، د. محمد خليفة حسن (ص: ١٢٨).

(٣) انظر: الأديان في الصين، سانغ جي (ص: ٨٠).

(٤) انظر: التاوية وعقيدتها في الألوهية من خلال كتابها المقدس (ص: ٨٣).

(٥) انظر: تاريخ تطور الفكر الصيني، مجموعة باحثين صينيين (ص: ١٣١)، ترجمة: عبد العزيز حمدي.

(٦) انظر: الفكر الشرقي القديم (ص: ٣١٥)، هامش رقم ١.

(٧) انظر: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات، حسن نعمة (ص: ٥١).

(٨) انظر: حكمة الصين، هـ. فان براج (ص: ٣٨)، ترجمة: موفق المشنوق.

(٩) انظر: أسرار الآلهة والديانات، ميغوليفسكي (ص: ٣٠٤)، ترجمة: د. حسان ميخائيل إسحاق.

(١٠) انظر: الديانات القديمة، الشيخ محمد أبو زهرة (ص: ٨٥)، هامش: ١.

(١١) انظر: الفكر الشرقي القديم (ص: ٣١٥)، هامش: ١، معتقدات آسيوية (ص: ٢٨٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أسطورية؟[١]، فهو شخصية تعدُّ من الناحية التاريخية موضع شك، ولا نعرف على وجه التأكيد أكان لاوتسو نفسه شخصية حقيقية أو لم يكن[٢].

وقد نسجت أساطير كثيرة حول لاوتسي منها: أنه ولد بغير أب بشري، وأنه بقي في رحم أمه ٢٧ سنة، ثم خرج من إبطها الأيسر، وتكلم في الحال[٣]، وأنه حين ولد كان أشيب الشعر والحاجبين[٤][٥].

ويقول الذين يقررون بأنه شخصية حقيقي: إنه أصبح في بواكير شبابه أمينًا للمحفوظات الإمبراطورية بمدينة لو يانغ، وظل يشغل هذا المركز أعوامًا عديدة، وقد أتاح له ذلك العمل فرصة الدراسة والبحث، وعندما بدأ يعبر عن آرائه في الفلسفة والدين نال إعجاب الكثيرين الذين أطلقوا عليه الاسم الذي عرف به وهو (لاوتسي)[٦].

ثم ترك العمل في المكتبة، واعتزل وحيدًا في كهف، وفرغ نفسه للتأمل والتفكير، قائلا: (عندما تتكلل الأعمال بنجاح باهر، ويغدو اكتساب اسم طيب حقيقة واقعة، فإن الاعتزال يغدو أفضل تصرف، وهذا هو الطاو السماوي بعينه)، وخلال هذه المدة صاغ أسس الطاوية، وبعدها قرر مغادرة الصين إلى الهند[٧].

وترجع أسباب نشأتها باختصار إلى تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية في المجتمع الصيني، ولذا كانت الطاوية استجابة للأحداث التاريخية، حيث شهد القرن السادس قبل الميلاد اضمحلال الإقطاع في الصين، وتعرض المجتمع الصيني لاضطرابات وفوضى سياسية، وانحلال خلقي[٨].

---

(١) المدخل في تاريخ الأديان، د. سعيد مراد (ص: ٢٠٢).

(٢) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب (ص: ٣٠٠)، شجرة الحضارة، د. رالف لنتون (٣/ ٢٦٦) ترجمة: د. أحمد فخري، حكمة الصين، هـ. فان براغ (ص: ٤٢)، ترجمة: موفق المشترق.

(٣) انظر: معجم ديانات وأساطير العالم، د. إمام عبد الفتاح إمام (٢/ ٢٩٩).

(٤) يذكر هذا مما ينسبه رافضة الاثني عشرية حول مهديهم المنتظر، وأنه ينمو في اليوم كما ينمو غيره في السنة، ويتكلم في بطن أمه، ويعبد ربه عند الرضاع، وتطيعه الملائكة، وأنه ولد جاثيا على ركبتيه رافعا سبابته إلى السماء، وأنه تكلم فور ولادته ... إلخ. انظر: أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٤٣-٨٤٤).

(٥) انظر: حكمة الصين (ص: ٤٢).

(٦) انظر: قصة الديانات (ص: ٢٣٠).

(٧) انظر: أسرار الآلهة والديانات (ص: ٣٠٥).

(٨) انظر: دراسات في الأديان الوضعية، د. علي عبد العال ربيع وآخرون (ص: ٢٧٥)، وراجع: تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة، د. محمد خليفة حسن (ص: ١٢٨)، الفكر الشرقي القديم (ص: ٣٥٧-٣٥٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث:
كتاب الطاوية المقدس
وأهم عقائدها

كتاب الطاوية المقدس:

الكتاب المقدس عند الطاوية هو كتاب (تاو تي تشينغ) الذي ينسب إلى لاوتسي، ويعني: الطريق إلى الفضيلة، ويحتوي هذا الكتاب على إحدى وثمانين مقطوعة شعرية هي النصوص المقدسة للطاوية، ويتألف من قرابة خمسة آلاف كلمة، وهي تتضمن المبادئ الأخلاقية التي يجب على الطاوي اتباعها(١)، ولهذا الكتاب -رغم صغر حجمه- تأثير كبير على الحياة الفكرية والروحية في الصين(٢).

وأما قصة تأليف هذا الكتاب، فقد قيل: إن لاوتسي لما عزم على العزلة والهجرة بعيدًا للتأمل والتفكير، وعندما بلغ حدود الإقليم عرفه حارس الحدود ولم يسمح له بالمرور، فسأله لاوتسي: لماذا تمنعني من المرور؟ فأجابه الحارس: أنت فيلسوف عظيم، وقد عمت شهرتك الآفاق دون أن تسجل تعاليمك، فإذا أنت بارحتنا الآن، فلن يكون لدينا أي سجل لهذه التعاليم، فسأله لاوتسي: وهل إذا سجلت تعاليمي ستدعني أمر؟ أجاب الحارس: نعم يا أستاذي؟ فجلس لاوتسي لتسجيل هذه التعاليم في كتاب صغير، وأعطاه لحارس الحدود، فسمح له بالخروج من الإقليم، وقد أصبح هذا الكتاب هو أهم النصوص المقدسة الخاصة بالديانة الطاوية(٣).

وهذا الكتاب مع صغر حجمه إلا أنه في مواضع كثيرة صعب الفهم وكلماته غامضة، وفي كثير من الأحيان تبدو آراؤه وأفكاره مختلفة بل متناقضة، مما دعا بعض الباحثين إلى ترجيح أن هذا الكتاب قد تعاقب على تأليفه أكثر من شخص في أزمنة مختلفة، ويؤكد ذلك أن هذا الكتاب تضمن أفكارًا لم تكن معروفة في عصر لاوتسي ولم تكن شائعة في وقته، ولهذا ذهب بعض الباحثين إلى أنه كتب في القرن الثاني قبل الميلاد، ورجح بعضهم أنه لا يمكن أن يكون قد كتب قبل القرن الرابع قبل الميلاد(٤)،قال جفري بارندر: (الكتاب الذي يحمل اسمه [لاوتسي]

---

(١) انظر: حكمة الأديان الحية، جوزيف كاير (ص: ٢٤٥)، ترجمة: حسين الكيلاني، مراجعة: محمود الملاح.
(٢) انظر: مقدمة المترجم لكتاب التاو تي، فراس السواح (ص: ٥).
(٣) انظر: قصة الديانات (ص: ٢٣١).
(٤) انظر: الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي تونج (ص: ١٤٤-١٤٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يحتوي فيما يبدو على كتابات لمؤلفين مختلفين وفي فترات مختلفة)[١]، وقال جوزيف كاير: (إنه كتاب قصير ولكنه محير؛ لاحتوائه على عدد كبير من الآراء الغامضة المتناقضة في ظواهرها التي تَعَزُّ على التوضيح والتبيان... وصار هذا الكتاب الصغير -من المقطوعات الشعرية المهلهلة- فيما بعد مادةَ مكتبةٍ من الشروح والتفاسير، ومع ذلك لم يصبح أكثر وضوحًا، بل بقيت الآراء الغامضة غامضة، وظلت التناقضات مبهمة)[٢].

أهم عقائد الطاوية:

بداية يجب التنبيه على أن بعض أفكار وعقائد الطاوية التي أسسها لاوتسي سهلة الفهم، وبعضها الآخر عسير الفهم[٣].

ومن أهم عقائد الطاوية ما يلي:

١- تأليه ما يسمونه بالطاو أو التاو:

أصبح التاو إله التاوية الأول والأعظم، وعبد رسميًّا منذ مملكة هان (٢٠٦-٨ ق.م)[٤].

أما اسمه فغير معروف، يقول لاوتسي في كتابهم المقدس (الطاو): (أنا لا أعرف اسمه ولكني أسميه التاو، ولأني لا أجد كلمة أفضل أدعوه "ذو الجلال")[٥].

وإذا كنا لا نعرف اسمه فكيف نعرفه، يجيب لاوتسي حينما سئل عن الطاو من هو؟ أجاب: (التاو يبقى إلى الأبد مستحيل التعريف)[٦]، ويقول: (أما التاو فإنه يبقى إلى الأبد أعلى الأعالي لا يكاد يعرفه الناس)[٧]. فالإله عندهم لا يعرف اسمه، ولكن يصطلح عليه بكلمة الطاو، وكنيته العظيم[٨].

أما صفاته فيقولون بأنه:

أ- أصل الكائنات ومصدر الكون، ومدبره والمتصرف في شؤونه، وأنه عظيم جدًّا جدير بالتكريم والمحبة والعبادة، وأنه واحد لا ينقسم ولا يتجزأ، منزه عن المكان والزمان والجهة،

---

(١) المعتقدات الدينية لدى الشعوب (ص: ٣٠٠).
(٢) حكمة الأديان الحية (ص: ٢٤٥).
(٣) انظر: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة (ص: ٥١).
(٤) انظر: تاريخ الأديان، د. محمد خليفة حسن (ص: ١٣٢).
(٥) كتاب التاو (ص: ٨١)، ترجمة: هادي العلوي.
(٦) الطريق إلى الفضيلة (ص: ٣٩).
(٧) الطريق إلى الفضيلة (ص: ٢٢).
(٨) انظر: حكمة الصين دراسة تحليلية (١/ ٢١٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أبدي لا يفنى[١].

ب- لا شكل له ولا طعم ولا صوت، وغير مرئي وغير محسوس[٢].

ج- لا صورة له، إلا أنه كامل، قائم قبل أن توجد السماوات والأرض، لا صوت له ولا جوهر، موجود لا يتغير، يتخلل كل شيء، إنه منشأ جميع ما في الكون[٣].

د- الروح الأزلي الأبدي المشتمل على جميع القوى الحيوية، والكائن النقي والجوهر الأساسي لكل موجود، والحياة الحقة لكل كائن، والمدبر العام للعالم كله[٤].

هـ- يهبهم الحياة ويرعاهم، وينشئهم ويرزقهم، ويؤويهم ويطعمهم، ويعينهم ولا يقتضي عرفانا، ويدبر شئونهم ولا يدعى سلطانا[٥].

ومع وصفه بهذه الصفات فإنهم يعتقدون بأنه يلد كسائر المخلوقات، يقولون: إن الطاو يلد جميع الأشياء في العالم، وهو الذي أنجب المولود الأول الذي بدوره أنجب الموجود الثاني، ثم أنجب الموجود الثاني الموجود الثالث الذي أنجب بدوره جميع الموجودات في العالم[٦].

كما يعتقدون أنه حالٌّ في جميع المخلوقات وموجود في كل مكان، فهو مصدر الموجودات، ومنبع الأشياء، وهو كل شيء، وموجود في كل مكان، لا يدرك باللمس، لا يرى ولا يقاس[٧].

ومن نصوص كتاب التاو: (من يتبع الطاو يكن واحدا مع التاو)[٨]، (وحيث تكون إلهيا فأنت مع التاو يدًا بيد، وكونك مع التاو يدًا بيد هو السرمد، يزول البدن وتبقى التاو)[٩]، (الطاو حالٌّ في كل مكان) [١٠]، (التاو ليس من شيمته الفعل، ولكنه لا يترك شيئًا بحاجة إلى إتمام)[١١]، (التاو الجليل يجري في كل مكان إلى اليمين واليسار على السواء) [١٢]، (التاو

---

(١) انظر: الديانة التاوية وعقيدتها في الألوهية (ص: ٨٥-٨٧).

(٢) تاريخ تطور الفكر الصيني (ص: ١٣٣).

(٣) انظر: حكمة الصين دراسة تحليلية (١/ ٢١٦).

(٤) الفلسفة الشرقية، د. محمد غلاب (ص: ٢٣٧).

(٥) انظر: التاو تي تشينغ (إنجيل الحكمة التاوية) (ص: ٨٦)، ترجمة: فراس السواح.

(٦) انظر: تاريخ تطور الفكر الصيني (ص: ١٣٤).

(٧) انظر: الفلسفة في الهند، د. علي زيعور (ص: ٤٤٩).

(٨) كتاب التاو (ص: ٧٩)، ترجمة: هادي العلوي.

(٩) كتاب التاو (ص: ٧٣).

(١٠) كتاب التاو (ص: ١٤٤).

(١١) التاو تي تشينغ (إنجيل الحكمة الطاوية) (ص: ١٩٤)، ترجمة: فراس السواح.

(١٢) كتاب التاو (ص: ٩٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

... هو عين النظام المنبث في هذا العالم المتخلل في كل جزء من أجزائه)[١].

وقال تونجكوشن تسو محدثا جوانج تسو: (أين هو ذلك الذي يدعى الطاو؟ فأجابه جوانج تسو: في كل مكان، فقال الآخر: من فضلك اضرب عليه مثلا، قال جوانج تسو: حسن، إنه هنا في هاتيك النملات ... في تلك العشبات .... لا إنه هنا في هذا الروث أيضًا)[٢].

فالطاو كائن في كل مكان، وهو كل شيء[٣].

ولذلك فهم يعتقدون أن الحرية المطلقة لا تتحقق إلا من خلال التوحد مع الطاو والامتزاج به[٤]، وعندما يتوحد طاو الإنسانية وطاو الكون؛ فإن البشر سيدركون طبيعتهم اللامتناهية، وعندئذ سيسود السلام[٥].

وبهذا يتبين أن هذه العقيدة قريبة الشبه من وحدة الوجود عند غلاة الصوفية، التي توحد الخالق والمخلوق؛ إذ هما شيء واحد، وهي أيضًا قريبة من مذهب الحلول، وهو اعتقاد أن الخالق حالٌّ في كل الموجودات[٦].

٢- تعدد الآلهة:

بعد موت لاوتسي تحولت الطاوية من فلسفة إلى عقيدة تؤمن بمعبودات لم يذكرها مؤسس العقيدة، فعبد أتباعه من بعده التنين والفئران وبنات آوى والثعابين، بل آمنوا بأشياء أخرى أكثر غرابة، مثل الإيمان بقوة السحر خاصة سحر بعض أنواع الحجارة[٧].

وهناك عدد كبير من الآلهة التاوية، والكائنات البشرية المقدسة، وكل منها له شخصيته الفردية، وأطواره المختلفة[٨].

فالطاوية مع كونها ديانة حلولية، فهي تؤله مظاهر الطبيعة، وتعبدها مع أرواح الأسلاف[٩].

---

(١) التاو في تشينغ (إنجيل الحكمة التاوية) (ص: ١٨٩).

(٢) موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين (ص: ١٥٥).
(٣) انظر: حكمة الصين دراسة تحليلية (١/ ٢١٧).
(٤) انظر: الفكر الشرقي القديم (ص: ٣٦٧)، الفلسفة الشرقية (ص: ٢٤٥).
(٥) انظر: الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي (ص: ٢٥٤).
(٦) انظر: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة (ص: ١١٣).

(٧) انظر: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة (ص: ٥٢).
(٨) انظر: الجنس في أديان العالم، جيفري بارندر (ص: ١١٣).
(٩) انظر: الديانات والعقائد في مختلف العصور (١/ ١٦١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣- تناسخ الأرواح:

الطاوية يعتقدون بتناسخ الأرواح، وأن النفس المادية تظل تائهة ضائعة تلتمس الدخول في جسم آخر وتتقمص فيه[١].

وقد ادعى أحد أنصار الطاوية أن بوذا ليس إلا لاوتسي في أحد تناسخاته؛ إذ إنه ارتحل إلى الهند بعد أن اعتزل الحياة الصينية، وهناك عاد بالتناسخ إلى الشباب من جديد، فاستأنف رسالته باسم بوذا[٢].

وهم يزعمون أن لكل إنسان ثلاثة أنفس هي: (١) النفس العاقلة: ومقرها في الرأس، (٢) النفس الحساسة: ومقرها في الصدر، (٣) النفس المادية: ومقرها في المعدة، فإذا مات الإنسان ذهبت نفسه العاقلة إلى الأرواح الأبدية، ونزلت الثانية في القبر، بينما النفس الثالثة تظل تائهة ضائعة تلتمس الدخول في جسم آخر[٣].

وبناء على اعتقادهم بالتناسخ فليس لديهم بعث ولا حساب، إنما يكافأ المحسن بالصحة، وبطول العمر، بينما يجازى المسيء بالمرض وبالموت المبكر[٤].

٤- طريق الخلاص:

تقوم فلسفة الديانة التاوية على أن الصراع هو سمة الحياة الإنسانية، بسبب تنافس البشر من أجل تحقيق رغباتهم، الأمر الذي يؤدي إلى وقوع الشر والخطأ، وقد فشلت المعايير الأخلاقية في وضع نهاية لهذا الصراع، ولذلك لا يمكن التخلي عن الأفعال الصادرة عن الرغبات إلا بتبني الطريق "التاو" السهل للفعل، وهو طريق يفترض التوافق والتناغم مع الطبيعة والكون والتصرف وفقا للتاو الكوني الشامل[٥].

ولذا تقرر الطاوية أن خير وسيلة لإنقاذ الإنسان من عذاب الحياة وآلامها هي التأمل والعزلة اللتان تجعلان منه حكيمًا قادرًا على الاتحاد بالطاو، وترى الطاوية ضرورة التطهر من مغريات الدنيا، والعودة إلى الفطرة لبلوغ الخلاص، والاتحاد بالمبدأ الأسمى (طاو)، وهو المبدأ الكوني الشامل الذي أوجد ذاته قبل الزمان، واستمرَّ فيه، وسيبقى إلى الأبد، لا يمكن إدراكه بالعقل؛ لأنه مطلق لا شخصي[٦].

---

(١) انظر: عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة (ص: ٢٢٨).

(٢) انظر: الفلسفة الشرقية، د. محمد غلاب (ص: ٣٠٠).

(٣) انظر: عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة (ص: ٢٣٨).

(٤) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٢/ ٧٣٨).

(٥) انظر: تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة (ص: ١٢٩).

(٦) انظر: قاموس المذاهب والأديان (ص: ١٤٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥- عقيدتهم في الشياطين والأرواح الشريرة:

يعتقد الطاويون أن الشياطين نوعان: شياطين بيضاء، وأخرى سوداء، تصنع لها تماثيل من الخشب، ويزعمون أنهما أسباب الوباء والبلاء، وأنهما يتسلطان على الأمراض الوافدة إليهم، وهما شيطان أبيض طويل، والآخر أسود قصير، يصنعان من الخشب مجوفان، يمكث في كل منهما رجل يطوف به في الشوارع في أوقات معلومة لدفع تلك الأمراض الوافدة إليهم، ولهذا فهم يوقدون عيدانًا من الطيب عند أبواب منازلهم عند موت أحدهم، حتى يمنعوا بهذه العيدان دخول نفسه أو سواها من الأرواح الشريرة إليهم [١].

والطاويون يعتقدون أن كل شيء في الطبيعة له روح، وقسموا أرواح الطبيعة إلى مجموعتين: أرواح خيرة، تفعل الأشياء الطيبة للناس، وتسمى (شين)، وأرواح شريرة اسمها (كوى)[٢].

وبمضي الزمن زاد اعتقاد الطاويين في الشياطين والمردة والجن ومصاصي الدماء والغيلان وكل أرواح الشر، واعتقدوا أن أسوأ الأرواح الشريرة موجودة في الجبال، وأن لجميع الجبال أرواحًا شريرة، وكلما زاد حجم الجبل زادت قوة روح الشر فيه، وبدأ الطاويون يحكون آلاف القصص عن الشياطين في الجبال، وراحوا يقصون كيف يتمكن بعض المؤمنين من قتل مردة الشياطين في هذه الجبال [٣].

٦- البحث عن الخلود:

الطاوية هي الديانة الوحيدة التي زعمت أن في الوسع إطالة عمر الإنسان إلى مئات السنين هي التاوية[٤].

فطلب العمر الطويل والتماس الخلود، غايتان هامتان للطاوية، دفعا الطاويين للتنقيب عن إكسير الحياة مما قاد لارتقاء الكيمياء الصينية على أيديهم [٥].

والخلود الذي يبحث عنه الطاويون ليس خلاص الروح فقط، بل خلود الجسد بفضل سلسلة من وصفات إطالة العمر، وممارسات عديدة منها رياضة التنفس التي تتيح التدفق الطليق للدم، وتفادي التجلطات، ومنها ما هو متعلق بنظم التغذية وأساليبها[٦].

---

(١) انظر: عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة (ص: ٢٣٨).

(٢) انظر: قصة الديانات، سليمان مظهر (ص: ٢٤٥).

(٣) انظر: سياحة في ربوع النمور الآسيوية، سليمان مظهر (ص: ١٩٠)، قصة الديانات (ص: ٢٣٩).

(٤) انظر: الديانات والعقائد في مختلف العصور (١/ ١٧٠).

(٥) انظر: حكمة الصين دراسة تحليلية (١/ ١٢١).

(٦) انظر: تاريخ وقواعد الحضارات، فرناند بروديل (ص: ٢٢٧)، ترجمة: حسين شريف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتعتبر مشكلة حفظ الحياة وإطالتها أساسية في كل اعتقادات التاوية وممارساتها[١].

وهم يعتقدون أنه بعد حياة تمتد ألف سنة يرتفع الإنسان الحقيقي إلى مرتبة الأرواح، فيصعد على سحاب أبيض، وينتقل إلى موطن السيد الأعلى، ذلك تأليه يجعل الإنسان يتجاوز الموت[٢].

بل قيل: إن أحد الطاويين -واسمه: تشانج تاو لينج- قد اكتشف شرابًا يجعل الناس يحيون حياة الخلود، وسمي هذا الشراب "إكسير الحياة"، وكان الشراب في صورة سائل شاع بينهم وأسرفوا في استعماله إسرافًا، يقال: إنه أودى بحياة بضع عشرات من أباطرة الصين المدمنين، وبدأ الطاويون على الفور يعبدون الرجل الذي اخترع إكسير الحياة، حتى إن سلالته لا تزال تعبد حتى اليوم[٣].

وللوصول إلى هذه الحالة لا بد من إجراء طقوس ورياضات تهيء الإنسان للخلود، ومن أهمها ما يلي:

الأول: طريق المعلم السماوي، ويركز على استخدام السحر واستدعاء الآلهة، وتقديم القرابين للموتى، واللجوء إلى السحر لطرد الأرواح الشريرة وشفاء المرضى[٤].

الثاني: التركيز على الصحة البدنية والعقلية واستعادة الشباب من خلال تهذيب الجوهر الإنساني والقوة الحيوية في الروح بدلا من السحر[٥]، ومن وصفاتهم لذلك:

١- تمارين التنفس والشهيق والزفير وحبس الأنفاس لأطول فترة ممكنة.

٢- العلاج الشمسي، أي: استخدام الحمام الشمسي بتعريض الجسم للشمس، وهذا خاص بالرجال، أما النساء فعليهن تعريض أنفسهن للقمر.

٣- تدريبات الرياضة البدنية المسمى (تاو ين) أي: مط وتقليص الجسم، ومنها تدريبات الكونج فو[٦]، والتدليك.

٤- استخدام الطرق الجنسية، وقد اعتبرها الطاويون وسيلة هامة لتحقيق الخلود المادي[٧].

الثالث: استخدام أدوية وأعشاب طبية، ولعل أبرز أنواع هذه الأدوية والعقاقير العشبية عشبة

---

(١) انظر: تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة، د. محمد خليفة حسن (ص: ١٢٩).

(٢) انظر: الفلسفة في الشرق (ص: ١٨٥).

(٣) انظر: سياحة في ربوع النمور الآسيوية (ص: ١٩١-١٩٢).

(٤) انظر: تاريخ الأديان، د. محمد خليفة حسن (ص: ١٣٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص: ١٣٣).

(٦) هي: رياضة قتالية صينية مشهورة.

(٧) انظر: موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين (ص: ١٨٥-١٨٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجينسنج، التي يقولون: إنها تطيل العمر [١].

الرابع: السكنى في أماكن تطيل العمر بزعمهم، جاء في كتاب لاو تسي أن هناك جزيرة في البحر رائعة، عجيبة في روعتها إلى حد أن من يطأها بقدمه يعيش فيها إلى الأبد، وفي تلك الجزيرة نهر يعيش كل من يستحم فيه أبد الدهر[٢].

الخامس: استخدام النار، وذلك بإلقاء الجسد في النار حتى يصعد إلى السماء في شكل لهب[٣].

٧- عقيدتهم في الموت:

تسلم الطاوية بأن الموت أمر لا محيص عنه، وعندما يموت المرء يتلاشى هذا الشعور بالوجود، وتزول هذه الأنا، ولكن ما هو موقف المرء؟ يقول الطاويون: إن الشعور بالوجود عذاب وشر مهما يكن من أمر وضعه في الحياة، فهل يتغير وضع الكون لو لم تكن هناك هذه الأنا؟ يجيب لاوتسي بأن طول العمر الحق مناطه الحقيقة القائلة بأنه وإن كان المرء يموت لكنه لن يضيع هباء [٤].

ولذا يقول كتابهم المقدس: (أن تموت دون أن تهلك، يعني أن تكون أبدي الحضور)[٥].

فالحياة والموت سيان عند الطاوية، وهم يرون أنه لو نظر الإنسان إلى الأشياء من ناحية أوجه تشابههما لبدت جميعها واحدة، فإذا أمكن الإنسان إحراز هذه الوحدة والتطابق مع الكون تصبح أعضاء جسمه مجرد تراب ووسخ، ويغدو الموت والحياة والنهاية والبداية كتعاقب الليل والنهار، فلا يأبه الإنسان بالموت، ولا يعكر التفكير فيه صفوه الباطن، وإذا كان الكون بلا بداية أو نهاية فالكون خالد، ويصبح الإنسان خالداً مثله، ولكن على شريطة تطابقه مع الكون[٦].

---

(١) انظر: سياحة في ربوع النمور الآسيوية (ص: ٦١).

(٢) انظر: قصة الديانات (ص: ٢٤٣).

(٣) انظر: تاريخ الأديان، د. محمد خليفة حسن (ص: ١٣٣).

(٤) انظر: حكمة الصين دراسة تحليلية (١/ ١٢١).

(٥) كتاب التاو (ص: ٨٩)، ترجمة: هادي العلوي.

(٦) انظر: حكمة الصين دراسة تحليلية (١/ ٢٤٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الرابع:
العبادات والطقوس والشعائر في الطاوية

١- التأمل في الطبيعة:

كانت الطاوية منهجًا للنساك والراغبين في اعتزال المجتمع لينصرفوا لتحصيل العلم واجتناء ثمار الحكمة، ولهذا السبب أصبحت الطاوية فلسفة الفرد الصيني المثقف وعزاؤه وقتما يعتزل الحياة العامة، أو يصيبه الإخفاق، أو يهجر مجتمع البشر ناشدًا الاتحاد مع عالم الطبيعة[١].

وقد دعا لاوتسي إلى التأمل في الطبيعة لأنها تعمل لمصلحة الإنسان وتبدع[٢].

وهو يرى أن التأمل الذي يغرقنا في الطاو يحقق فينا الفراغ، لأنه يجعل قلوبنا تصوم، فالرجل الحقيقي الذي يمتزج بالطاو عن إدراك ينسى الكائنات والسماء ونفسه، وهو يجعل روحه جامعة لحواسها فيصل إلى الهدوء والطهارة، وبالتالي يعيش طويلا؛ لأنه لا يضنى جسمه[٣].

ويميل لاوتسي إلى السكون والهدوء والاستسلام، وهو أساس العقيدة الطاوية في إيمانها بالطبيعة، والدعوة للعودة إليها، لتكون مرشدا وهاديا للناس، إن السكينة والهدوء تعني أن يعيش الناس قانعين بما لديهم، غير متطلعين إلى ما هو فوق ما تعطيه الطبيعة[٤].

وتؤكد الطاوية كذلك على الممارسات التأملية من أجل تهدئة الذهن، والسماح للروح بالاتحاد مع مصدرها مجددًا [٥].

وتكمن تعاليمها الأساسية في الخمود من خلال السيطرة على العقل، وكما ذكر زعماء هذه الطائفة أن الطاو يعتبر خمود العقل جوهره، ونسيان الكلام وظيفته، وعندما يتخلص المرء من جميع الأفكار فإنه يبلغ مرحلة التنوير الكامل للعقل، وللطبيعة الإنسانية أيضا، ويوضح ذلك

---

(١) انظر: حكمة الصين دراسة تحليلية (١/ ٢١٥).

(٢) انظر: الفلسفة في الهند (ص: ٤٤٩).

(٣) انظر: الفلسفة في الشرق (ص: ١٨٤).

(٤) انظر: المدخل في تاريخ الأديان (ص: ٢٠٥).

(٥) انظر: الفكر الشرقي القديم (ص: ٢٧٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بجلاء تأثرهم بالبوذية [١].

ولهذا قرروا أن الإمبراطور يجب أن يمتنع عن كل الأعمال الحكومية، ويتفرغ للتأمل وتطهير ذاته حتى يحقق الاتحاد مع التاو، ويحصل على التاوية ويصبح أول قديس لشعبه[٢].

٢- طقوس المعابد:

صارت الطاوية ديانة في القرن الثالث الميلادي، وأخذت المعابد تبنى، وعرفت تلك المعابد باسم (كوان)، وكلمة (كوان) معناها: ينظر، إلا أن معنى الكلمة تغير بمرور الزمن وفيما بين عامي ٤٣٠-٢٥٠ ق.م أصبح المعنى: برج المراقبة[٣].

وقد ورد في السجلات التاريخية أن الإمبراطور تشو من أسرة منغ قد جند ٣٠٠ ألف فرد من العمال الذين بنوا في مدة ١٢ سنة معابد ومساكن، وصل عددها الإجمالي حوالي ٨٠٠٠ غرفة[٤].

ويدخل الطاويون إلى المعبد وهم منحنون راكعون على ركبهم، ويشعلون أعواد البخور وهم يضمون كفوفهم في صلاة قصيرة، ويغادرون المعبد بظهورهم من الباب الخارجي[٥].

٣- تكفير الخطايا:

طورت الكنيسة الطاوية ضروبا من الطقوس والخدمات الدينية التي تقام للتكفير عن الخطئية وكفارة المرض -الذي يعتقد أنه حدث بسبب الخطيئة-، ويقوم الكاهن بتلاوة بعض التعاويذ على الماء ثم يقدمه إلى التائب ليشربه، فإذا فشلت هذه العملية في تحقيق الشفاء يعزى الفشل إلى نقص الإيمان، وفي الكنيسة الغربية يدفع المؤمن خمس مكيالات من الأرز فدية مالية، أما الخطايا التي يكفر عنها بهذه الطريقة فهي: السكر، والفسق، والسرقة[٦].

---

(١) انظر: تاريخ تطور الفكر الصيني (ص: ٥٢٢).

(٢) انظر: تاريخ الأديان، د. محمد خليفة حسن (ص: ١٣٥).

(٣) انظر: موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين (ص: ١٦١-١٦٢).

(٤) انظر: دراسات في الأديان الوضعية (ص: ٢٨٣).

(٥) انظر: سياحة في ربوع النمور الآسيوية (ص: ١٩٤).

(٦) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب (ص: ٣١١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤- طقوس المرض والموت:

من طقوس الطاوية أنه إذا مرض أحدهم أو اشتد عليه مرضه حتى تفارقه روحه، تظل هذه الروح تحوم حوله دون أن تعود إليه، فيأمرهم الكاهن بإرجاعها بواسطة ثوب المريض، فهم يعلقونه من طوقة بقصبة لها أوراق خضر يحملها أحد أقارب المريض، وقد يعلقون بطرفها ديكا أبيض، فيطوف الرجل ويقول عبارات دينية خاصة يلقنه إياها الكاهن، وذلك محاولة منه لإقناع الروح بالعودة إلى صاحبها، فإذا شاهدوا القصبة بدأت تدور على نفسها، استبشروا بالنجاح وعودة الروح، وإذا مات أحدهم يوقدون عند أبواب منازلهم عيدانًا من الطيب حتى يمنعوا بها دخول الأرواح الشريرة عليهم[١].

٥- السحر:

ارتبط السحر بالشعائر الدينية، وأصبح يشكل إحدى الطرق التي يسعى الناس بواسطتها إلى التحكم بالقوى العلوية[٢].

واستتبع السحر والرغبة في الشفاء دخول خرافات جديدة على الطاوية، وحدوث طقوس خرافية جديدة[٣].

---

(١) انظر: عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، فوزي محمد حميد (ص: ٢٤١).

(٢) انظر: حكمة الصين دراسة تحليلية (١/ ٢٤٥).

(٣) انظر: الديانات والعقائد في مختلف العصور (١/ ١٧٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الخامس:
أماكن وجود الطاوية وواقعها المعاصر

يتواجد الطاويون حاليا في مختلف أنحاء الصين، وفي تايوان، وماليزيا، وسنغافورة، وبانكوك[١].

ويبلغ عدد الطاويين في العالم قرابة ٥٠ مليون نسمة، ينتشر معظمهم في الصين، وباقي بلدان الشرق الأقصى[٢].

وفي الصين وحدها أكثر من ألف وخمسمائة معبد طاوي في الوقت الحاضر[٣]، ومن بين هذه المعابد معبد شنج هوانج أي مدينة الإله، وقد أنشأ هذا المعبد ابن الإمبراطور كوكسنجا في القرن السابع عشر، ويتعبد فيه الطاويون متبعين العقيدة الطاوية التي أسسها الأول الحكيم لاوتسي[٤].

وفي عام ١٩٥٨م أعلن أن ثلاثين ألفا من الكهنة الطاويين لا يزالون نشطين في مختلف أنحاء الصين[٥].

ويوجد في الصين وحدها ٢٥ ألف راهب طاوي وراهبة طاوية، وفي عام ١٩٥٧م تأسست الجمعية الطاوية الصينية التي وطدت علاقاتها مع الباحثين والمهتمين بدراسة الطاوية في داخل الصين وخارجها[٦]، وتقوم الجمعية بتنظيم النشاطات الدينية، وممارسة الشئون الدينية بصورة مستقلة، وإقامة المعاهد والمدارس الدينية الطاوية، مثل: المعهد الطاوي الصيني، وفي الوقت نفسه تحافظ المنظمات الدينية الصينية على تبادلات واتصالات مع المنظمات الدينية في أكثر من سبعين دولة ومنطقة في العالم، كما يشارك بعض الشخصيات الدينية الطاوية في حياة الدولة السياسية، ومنهم من يتولى مناصب نواب في مجالس نواب الشعب، والمؤتمرات

---

(١) انظر: قاموس المذاهب والأديان (ص: ١٤٧-١٤٨).

(٢) انظر: لمحات عن أديان العالم (ص: ٣٤٢).

(٣) انظر: الصين حقائق وأرقام (ص: ٨٣).

(٤) انظر: سياحة في ربوع النمور الآسيوية (ص: ١٨٧).

(٥) انظر: دراسات في الأديان الوضعية (ص: ٢٨٣).

(٦) انظر: المسلمون في الصين (ص: ٢١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاستشارية السياسية الصينية على مختلف المستويات[١].

وأصبحت الطاوية في الصين اليوم نحلة مرتبطة بالتقاليد الشعبية، وينص دستور جمهورية الصين الشعبية على أن مواطني جمهورية الصين الشعبية يتمتعون بحرية الاعتقاد الديني، ولا يحق لأي من أجهزة الدولة، أو المنظمات الاجتماعية، أو الأفراد إرغام أي مواطن على اعتقاد أي دين، أو عدم الاعتقاد به، ولا يجوز التعصب ضد أي مواطن يعتقد بأي دين أو لا يعتقد، وأن الدولة تحمي النشاطات الدينية الطبيعية، وأن المنظمات الدينية والشئون الدينية لا تخضع لسيطرة نفوذ أجنبي[٢].

---

(١) انظر: الصين حقائق وأرقام (ص: ٨٠-٨٢).

(٢) انظر: الصين حقائق وأرقام (ص: ٨٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملخص الفصل السابع

- اختلفت اتجاهات الباحثين في تعريف الطاوية بين اتجاه يعرفها بأنها ديانة، واتجاه آخر يعرفها بأنها فلسفة، والحقيقة أنها ليست مجرد ديانة، وليست أيضا مجرد فلسفة، بل هي ديانة وفلسفة معا، فلا يصح تعريفها بأنها مجرد ديانة، كما لا يصح تعريفها بأنها مجرد فلسفة.
- اسم الطاوية لم يشتق من اسم مؤسسها، وإنما سميت بذلك نسبة إلى (الطاو) الذي يسعى أتباعها للبحث عنه والاتحاد به.
- ترجع نشأة الطاوية إلى القرن السادس قبل الميلاد، ومؤسسها هو لاوتسي، أما التسمية فقد ظهرت في وقت متأخر خلال مملكة هان الأولى في القرن الأول قبل الميلاد، وأصبحت ديانة رسمية في القرن الثاني الميلادي الذي شهد نشأة أول مؤسسة دينية طاوية، وهذا ما يشير إليه المؤرخ الصيني سانغ جي من أن الغالبية يعتقدون أن الطاوية تشكلت في القرن الثاني الميلادي، ثم ازدهرت وانتشرت في القرنين الثالث والرابع بعد سقوط أسرة هان، وترجع أسباب نشأتها باختصار إلى تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية في المجتمع الصيني، ولذا كانت الطاوية استجابة للأحداث التاريخية، حيث شهد القرن السادس قبل الميلاد اضمحلال الإقطاع في الصين، وتعرض المجتمع الصيني لاضطرابات وفوضى سياسية، وانحلال خلقي.
- الكتاب المقدس عند الطاوية هو كتاب (تاو تي تشينغ) الذي ينسب إلى لاوتسي، ويعني: الطريق إلى الفضيلة، ويحتوي هذا الكتاب على إحدى وثمانين مقطوعة شعرية هي النصوص المقدسة للطاوية، ويتألف من قرابة خمسة آلاف كلمة، وهي تتضمن المبادئ الأخلاقية التي يجب على الطاوي اتباعها.
- أهم عقائد الطاوية: ١- تأليه ما يسمونه بالطاو أو التاو، ٢- تعدد الآلهة، ٣- تناسخ الأرواح، ٤- طريق الخلاص من عذاب الحياة وآلامها التأمل والعزلة اللتان تجعلان الإنسان حكيمًا قادرًا على الاتحاد بالطاو، ٥- يعتقد الطاويون أن الشياطين نوعان: شياطين بيضاء، وأخرى سوداء، تصنع لها تماثيل من الخشب، ويزعمون أنهما أسباب الوباء والبلاء، وأنهما يتسلطان على الأمراض الوافدة إليهم، ٦- البحث عن الخلود، الطاوية هي الديانة الوحيدة التي زعمت أن في الوسع إطالة عمر الإنسان إلى مئات السنين، ٧- عقيدتهم في الموت، تسلم الطاوية بأن الموت أمر لا محيص عنه،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعندما يموت المرء يتلاشى هذا الشعور بالوجود، وتزول هذه الأنا، فالحياة والموت سيان عند الطاوية.

- العبادات والطقوس والشعائر في الطاوية: ١- التأمل في الطبيعة، ٢- طقوس المعابد: يدخل الطاويون إلى المعبد وهم منحنون راكعون على ركبهم، ويشعلون أعواد البخور وهم يضمون كفوفهم في صلاة قصيرة، ويغادرون المعبد بظهورهم من الباب الخارجي، ٣- تكفير الخطايا، ٤- طقوس المرض والموت: من طقوس الطاوية أنه إذا مرض أحدهم أو اشتد عليه مرضه حتى تفارقه روحه، تظل هذه الروح تحوم حوله دون أن تعود إليه، فيأمرهم الكاهن بإرجاعها بواسطة ثوب المريض، ٥- السحر: ارتبط السحر بالشعائر الدينية، وأصبح يشكل إحدى الطرق التي يسعى الطاويون بواسطتها إلى التحكم بالقوى العلوية.
- يتواجد الطاويون حاليا في مختلف أنحاء الصين، وفي تايوان، وماليزيا، وسنغافورة، وبانكوك، ويبلغ عدد الطاويين في العالم قرابة ٥٠ مليون نسمة، ينتشر معظمهم في الصين، وباقي بلدان الشرق الأقصى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أسئلة تطبيقية

السؤال الأول: عرف الطاوية، مبينا اتجاهات الباحثين في تعريفها، ولم سميت بذلك؟

السؤال الثاني: تكلم بإيجاز عن نشأة الطاوية، واذكر اسم مؤسسها، ومتى أصبحت ديانة رسمية؟ وما كتابها المقدس؟

السؤال الثالث: اذكر عقيدة الديانة الطاوية في الطاو، مبينا تعريفه وأوصافه في اعتقادهم.

السؤال الرابع: الطاوية هي الديانة الوحيدة التي زعمت أن في الوسع إطالة عمر الإنسان إلى مئات السنين. وضح ذلك في ضوء ما درست.

السؤال الخامس: اذكر أهم وأشهر طقوس الطاوية المتعلقة بالمعابد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نقد الطاوية في ضوء الإسلام:

أولاً: أن توجه الطاوية نحو تأليه البشر وعبادتهم من دون الله تعالى، وفي هذا وقوع في هاوية الجهل، إذ إن أعظم الجهل أن يوجه الإنسان في العبادة والتأله إلى إنسان مثله، مع ما فيه من استعباد للبشر وإذلال لهم، وتنقص للكرامة الإنسانية، التي جاءت الشرائع بحفظها، وقد استنكر الله سبحانه على أقوام توجهوا في العبادة إلى غيره واتخذوا إلها سواه، فقال سبحانه (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا).

ثانيا: ينبني على النقد الأول، على أن ذلك المذهب الذي ورط الإنسان في عبادة مخلوقات مثله، لن يحقق له السعادة الأبدية والنعيم السرمدي، لأن ذلك مشروط بتحقيق العبادة للخالق وحده، قال تعالى : (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون (٦٨) الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين (١٩) ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) (٧٠) ، وأما من توجه لغير الله فلن يكون له في الآخرة من خلاق أو نصيب.

ثالثا: أن هذا الخالق الذي يجب أن يعبد ويعظم ويقدس، ينبغي أن يكون منعونا بنعوت الجلال موصوفا بصفات الجمال، لكن قول الطاوية بالحلول ووحدة الوجود، يتنافى مع عظمة الخالق، وما يجب له ، لقد تعدت الطاوية بتعاليمها هذه على الذات الإلهية ووصفتها بالنقائص تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

رابعاً: أن القول بأن الطريق للسعادة، وتحقيق رضا الخالق، باعتزال الخلق، والرغبة عن الدنيا، مجانب لطريقة الرسل، ومخالف ما أراده الله من عمارة الأرض، قال تعالى: (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الَّذِينَ اتَّبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابْتِغَاء رضوان الله فما رعوها حَقَّ رعايتها فآتينا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِير مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)

ولأنه لا يمكن استقامة أحوال الناس، وصلاح أمورهم إلا بالإقبال على الدنيا وعمارتها وفق مراد الله تعالى.

وبهذا يتضح أن وسيلة (الطاوية) في تحقيق السعادة الأبدية، مناقضة للفطرة، مصادمة لمصالح الناس، ولا تتفق مع مراد الخالق سبحانه.

خامسا: أن تحقيق السعادة في الآخرة مطلب من مطالب البشر ودعوة من دعوات الأنبياء عليهم السلام، ولا يتفق هذا المعنى مع ما ذهبت إليه (الطاوية) من إنكار الحساب، وجحود البعث، والكفر بالآخرة، فإن في ذلك تكذيب لها تواتر عن الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما بلغته عن الحق تبارك وتعالى، ومصادمة للعقل الذي يوجب وجود دار أخرى يلاقي فيها الحسن إحسانه، والمسيء إساءته.

سادسا: أن ما ذهبت إليه (الطاوية) من القول بإمكانية الخلود في الدنيا، وإمكان تحقيق ذلك عن طريق السحر والشعوذة، مخالف لما عرفه البشر وعلموه يقيناً لا شك فيه، من أن لكل نفس أجل، ولكل مخلوق كتاب، لا يتقاصر عنه، ولا يتعداه، قال تعالى : (وما جعلنا لبشر مِنْ قَبْلِكَ الْخُلدِ أَفَإِنْ مِتَ فَهُمُ الخالدون) . وهذا الأمر يؤكد جنوح (الطاوية) في فلسفتها إلى حد ما لا يقره عقل، ولا يعترف به منطق

سابعا: أن التسامح فضيلة، ولكن التجاوز فيها إلى أن تصل إلى حد الخضوع والذلة رذيلة ممقوتة، وما دعت إليه (الطاوية) من التسامح المطلق، يتنافى مع وجوب العدل وإقامة القسط فكما أن الظلم والتعدي على الناس مرفوض، فكذلك التسامح المطلق والخضوع مرفوض أيضاً.

ثامنا: فسرت الشرائع دعواتها وبينت أحكامها، وأصبحت تعاليمها، ظاهرة بينة لا لبس فيها، وكان ذلك من خصائصها (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون)

ولكن (الطاوية) على خلاف ذلك، إذا اتسمت كتبها المقدسة بالغموض، وأحاطها الخفاء، فلا يمكن الوقوف على معناها، وإدراك حقيقتها، وعليه فهي تزيد حيرة الإنسان، ولا تشبع رغبته في إدراك الحقائق والوقوف على الأشياء

وبالجملة فإن تعاليم الطاوية ومعتقداتها، تبين هزال المذاهب الوضعية، وفشل الدعوات البشرية في تحقيق السعادة للبشر

الفصل الثامن:
الديانة الكونفوشيوسية

المبحث الأول:
التعريف بالكونفوشيوسية

هي: مذهب أخلاقي معني بتنظيم المجتمع وفق تعاليم عن قواعد السلوك، وعن الحياة السليمة(١).

فهي أقرب إلى الفلسفة منها إلى الديانة، وذلك حسب نشأتها الأولى، ولذا قال بعضهم بأنها (فلسفة إنسانية اجتماعية تدور حول البشر ومجتمعهم، وليس حول الطبيعة أو معرفة الطبيعة)(٢).

وجوهر اهتمامها هو الأسرة، يقول د. محمد خليفة حسن: (لقد احتلت الأسرة أهمية عظمى إلى حد دفع بأحد دارسي الكونفوشيوسية إلى تعريفها بأنها فلسفة نظام الأسرة الصيني)(٣).

ثم تحولت إلى ديانة حتى أصبحت أم الديانات الصينية وأكثرها انتشارًا؛ لأنها أصبحت تمثل العمق الديني داخل كيان الفرد الصيني، بل والأمة الصينية(٤).

والمؤسس الحقيقي لها هو كونفوشيوس الذي يعد أول من أقام نسقًا فلسفيًّا حقيقيًّا عن الإنسان(٥)، وسميت الديانة بهذا الاسم نسبة إليه.

واسمه الحقيقي: كونغ تشيو، ويلقب أيضًا بـ(كونغ فوتسه)(٦)، ومعناه: المعلم أو الحكيم(٧).

---

(١) انظر: المستطرف الصيني (ص: ٧٥)، الأديان في تاريخ شعوب العالم، ص ٢٦٩.

(٢) الفكر الشرقي القديم: جمال المرزوقي (ص: ٢٤٨).

(٣) تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة، د. محمد خليفة حسن (ص: ١١٥).

(٤) انظر: المدخل في تاريخ الأديان، د. سعيد مراد (ص: ١٧٧).

(٥) الفلسفة الشرقية القديمة، د. مصطفى حسن النشار (ص: ١٤٧).

(٦) انظر: المستطرف الصيني (ص: ٧٢)، موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين (ص: ١٣٥-١٣٨).

(٧) انظر: الأديان القديمة، أبو زهرة (ص: ٨٣)، الديانات والعقائد في مختلف العصور (١/ ١٤٨).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني:
نشأة الكونفوشيوسية ومصادرها

نشأة الكونفوشيوسية:

ظهرت الديانة الكونفوشيوسية في القرن السادس قبل الميلاد[١].

وقد عاش كونفوشيوس ما بين ٥٥١-٤٧٩ ق.م[٢]، فقد ولد في عام ٥٥١ ق.م، في مقاطعة لو شان تانج، وتوفي عام ٤٧٩ ق.م[٣]، ومات كونفوشيوس وهو في الخامسة والسبعين أو السادسة والسبعين[٤].

وصار له مريدون وأتباع وتلامذة، فأمضى عشر سنوات يتجول بصحبة تلامذته للتبشير دون أن يلقى تجاوبًا من حكامها[٥].

وقد اتسم العصر الذي عاش فيه كونفوشيوس بالتفكك السياسي والاجتماعي والتردي الواسع النطاق للأخلاق، ولهذا كان من الطبيعي في ضوء هذه الأوضاع أن يتجه كونفوشيوس إلى إصلاح حال المجتمع[٦].

وقد اهتمت فلسفة كونفوشيوس الاجتماعية بالطبقة العليا في المجتمع الصيني، بينما تأثرت الطبقات الدنيا بالديانة الصينية الشعبية المرتبطة ببعض المعتقدات حول طبيعة الكون بعامة وروح الكون أو العالم على وجه الخصوص، ولم يكن كونفوشيوس ملتزمًا بهذا الشكل الديني، إنما قَبِلَه كجزء من النظام الديني الموروث[٧].

---

(١) موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين (ص: ١٣٥).

(٢) انظر: المستطرف الصيني (ص: ٧٢).

(٣) انظر: قصة الحضارة، مجلد ١، ج٤، ص ٤٠، الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ص ٣١٩، تاريخ البشرية، أرنولد تونبي، ج١، ص ١٩٠، الفلسفة في الشرق: ماسون أورسيل، ص ١٦٨، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص ٢٣٨.

(٤) الديانات والعقائد في مختلف العصور، ج١، ص ١٥٣.

(٥) انظر: المستطرف الصيني (ص: ٧٢).

(٦) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر (ص: ٣٣٣).

(٧) انظر: تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة (ص: ١١٩).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

مصادر الكونفوشيوسية:

الكتب المقدسة في الديانة الكونفوشيوسية نوعان[١]:

الأول: الأسفار الخمسة (وو جينغ)، وهي الكتب التي نقلها كونفوشيوس عن العصور السحيقة، وأضاف إليها إضافات أصلية، وتحتوي على آراء السابقين، وهي:

(١) سفر القصائد، ويسميه بعضهم الأغاني أو الأناشيد أو الشعر، وهو سفر يشتمل على ثلاثمائة وخمس من القصائد والتواشيح الدينية، وفيها تصوير للأحوال الدينية والاجتماعية والسياسية في تاريخ الصين القديم.

(٢) سفر التاريخ، وهو أقدم كتاب تاريخي في الصين، وسجلت فيه الأحداث التاريخية القديمة في الألف الثالثة قبل الميلاد، وحتى سنة ٦٣٠ ق.م، أي: قبل عصر كونفوشيوس بمائة سنة تقريبا.

(٣) سفر الشريعة، وهو يتضمن الطقوس والشعائر والمراسم المتعلقة بالزواج والمعاملات والأعياد والاحتفالات والجنائز وتقديم القرابين، وقواعد السلوك والأخلاق، ويعد من أكثر الكلاسيكيات القديمة التي حفظت دون تغيير.

(٤) سفر التغيرات، وهذا السفر يرى البعض أنه عبارة عن أساليب التنبؤات ومعرفة الحوادث المستقبلية، بينما يرى البعض أنه عبارة عن قواعد السلوك والأخلاق الفاضلة، ويذهب آخرون إلى أنه يحمل أسرار الكون كله إذا فهم، وهو يتسم بالغموض والرمزية، وله أهمية خاصة عند الصينيين، فلا زالوا يستخدمونه حتى الآن في الإنباء بالغيب ومعرفة الطوالع.

(٥) سفر الربيع والخريف، وهو من تأليف كونفوشيوس، ويتضمن مجموعة من السجلات التاريخية المختلفة لإمارة (لو) التي هي مسقط رأسه من سنة ٧٢٢ حتى سنة ٤٨١ ق.م، وأثنى فيه كونفوشيوس على الأمراء والوزراء الصالحين، وشن حملة على الأمراء والوزراء الفاسدين.

الثاني: الكتب الأربعة (سي شو)، وقد ظهرت بعد وفاة كونفوشيوس، وكتبها تلامذته، وبعضها تسجيل لأقواله وحواراته، وبعضها تفسير لبعض الأسفار المقدسة، وهي: (١) كتاب المعرفة الكبرى، (٢) كتاب سنة التوسط، (٣) كتاب الحوارات أو المنتخبات، (٤) كتاب منشيوس. والكونفوشيوسية مع تقديسها لجميع هذه الكتب الأربعة إلا أنها لا تتمتع بنفس المكانة المقدسة التي تتمتع بها الأسفار الخمسة.

---

(١) انظر: الكونفوشيوسية دراسة تحليلية، ناصر الشهراني (ص: ١٧٧) وما بعدها، الكتب الخمسة لكونفوشيوس، د. حسن شحاتة سعفان (ص: ٧٨٣).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث:
أهم عقائد الكونفوشيوسية

الكونفوشيوسية في أصل نشأتها ليست دينا بالمعنى المتعارف عليه للدين، فليس فيها نظام كهنوتي أو رهباني، ولهذا لم يأت كونفوشيوس بدين جديد أو شريعة[١].

ولذا يقول د. محمد خليفة: (أما الدين في الصين فلا يبحث عنه في الكونفوشيوسية، بل في كل من البوذية الصينية والتاوية)[٢]، لكنها تحولت فيما بعد إلى ديانة.

ولم يكن لكونفوشيوس اهتمام بالدين والإله، ولما سأله أحد رجال الديانة البوذية: (يا معلم كونفوشيوس ما دينك؟ قال: لا دين لي، ما كتابك؟ قال: لا كتاب، قال: ما صلواتك؟ قال: لا صلوات، ما الذي تدعو إليه إذن؟ قال: أن يكون الإنسان إنسانا لا حيوانًا ولا إلهًا)[٣].

ولما سأله أحد أصحابه: أيها السيد المحترم كيف لي أن أخدم الآلهة؟ أجاب: (أنت لا تعرف كيف تخدم الإنسان، فكيف تسأل عن خدمة الآلهة؟!)[٤].

ولهذا كان إذا وجّه إليه سؤال في أمور الدين أجاب إجابة سلبية، حتى ألحقه كثير من الباحثين بطائفة اللاأدريين[٥]، كما ظن البعض أنه كان في الحقيقة متشككًا أو حتى ملحدًا، وأنه لم يكن لديه الشجاعة ليذكر الحقيقة لطلابه[٦]، لكنه مع هذا استمر يحافظ على الاعتقاد التقليدي في السماء باعتبارها الإله الأساسي عند الصينيين[٧]، لكن السماء لم تكن إلها في اعتقاده، وإنما دعا إلى عبادة السماء؛ لأنها إرادة الله ونظام العالم[٨].

والذي يظهر أن كونفوشيوس لم ينكر وجود عالم روحي أسمى[٩]، ويدل على ذلك أنه أعلن أن السماء عرفته وأنها تقبلت جهاده[١٠]، فقد كان كونفوشيوس نفسه يقول: (إن الآلهة

---

(١) انظر: لمحات عن أديان العالم، صادق الركابي (ص: ٢٩٥).
(٢) تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة (ص: ١١٩-١٢٠).
(٣) ديانات أخرى، أنيس منصور (ص: ٦٠).
(٤) لمحات عن أديان العالم (ص: ٣٠٢).
(٥) انظر: قصة الحضارة، مجلد ١، ج٤، ص ٥٣.
(٦) انظر: الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي (ص: ٥٧).
(٧) انظر: الفلسفة الشرقية القديمة، د. مصطفى حسن النشار (ص: ١٤٧-١٤٨).
(٨) موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات، ص ٦٥.
(٩) انظر: فلاسفة الشرق: أ. ف. توملين (ص: ٢٨٩).
(١٠) المستطرف الصيني (ص: ٧٤).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ليست إلا رموزًا لقوى الطبيعة وأرواح السلف)[١]، لكنه لم يبن فلسفته على أي معتقدات دينية[٢].

ومن أهم معتقداتها ما يلي:

١- تعدد الآلهة:

تؤمن الكونفوشيوسية بتعدد الآلهة، ومن معبوداتهم قوى الكون الطبيعية؛ فالشمس والقمر والنجوم والمطر والسحاب والرياح والأرض والجبال والأنهار والسماء آلهة في اعتقادهم، وهم يعتقدون أنها تعينهم على تيسير أمور حياتهم[٣].

لكن هذه الآلهة على الرغم من تعددها وتقديس الصينيين لها ليست بمنزلة واحدة، حيث كانت عبادة السماء في المنزلة الأولى والمكانة الأسمى، باعتبارها الإله الأعظم وحاكم الحكام أو رب الأرباب، ثم عبادة الأرض، ثم عبادة أرواح الأجداد، ثم عبادة الجبال والأنهار وغيرها من قوى الكون الطبيعية[٤].

٢- عبادة السماء:

السماء هي المعبود الرئيس لأهل الصين، ولذا أسموها في كتبهم القديمة بالإله الأعظم والملك العلي، وكانوا ويتوجهون إليها بالعبادة، ولعظيم مكانة السماء عندهم كانوا يرون أن عبادتها والتقرب إليها بالقرابين مخصوصة بالإمبراطور وحده[٥]، ويطلق على الإله الأعظم أو الإله المتعالي في مصطلحات الآداب القديمة الصينية لقب (تيان) أو (السماء)، وهذا هو اللقب الذي شغف به كونفوشيوس نفسه، وكان يتحدث به كثيرًا[٦].

والسماء المعبودة عندهم لا يقصدون بها تلك القبة الزرقاء، بل يقصدون تلك الأفلاك ومداراتها والقوى المسيطرة التي تسيطر عليها، وسبب عبادتهم للسماء أنهم كانوا يعتقدون أنها عالم حي متحرك حسب نظام دقيق محكم، وأن كل ما في العالم من قوى مسيرة إنما هو

---

(١) موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات، ص ٦٥.

(٢) الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي (ص: ٥٥).

(٣) انظر: الديانات والعقائد في مختلف العصور (١/ ١٤٥)، الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٠٣).

(٤) انظر: الكونفوشيوسية دراسة تحليلية، ناصر الشهراني (ص: ٢٠٣).

(٥) انظر: الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٠٣-٢٠٤)، أديان العالم، د. حبيب سعيد (ص: ١١٨).

(٦) انظر: أديان العالم، حبيب سعيد (ص: ١١٨)، الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٠٣).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

خاضع لسلطان السماء[١].

ويشير مصطلح السماء عند كونفوشيوس إلى قوة كونية معنوية غامضة لا تقهر، تتمتع بالإرادة القاهرة والقدرة على الإبادة، ولها يخضع كل شيء في الكون، ولذا كانت السماء بالنسبة إليه المرفأ الأخير الذي يلجأ إليه عندما يصيبه اليأس والإحباط من البشر، وكان عندما يتعذر على الناس فهم تعاليمه ومبادئه يردد دائمًا: (ولكن السماء تفهمني)[٢].

٣- تأليه كونفوشيوس:

لم يدع كونفوشيوس الألوهية لنفسه في حياته، بل لم يدع النبوة، وغاية ما كان يدعيه لنفسه أنه معلم وعاشق للعلم، لكن هذا لم يمنع أتباعه من أن ينصبوه إلها[٣]، ولم يكتسب القداسة إلا حين صار مذهبه عقيدة رسمية في القرن الثاني قبل الميلاد، في عهد أسرة هان[٤]، وتم تأليهه وأقام الإمبراطور صلوات دينية في تأبينه[٥]، وبنوا له الهياكل في البلدان، وقدموا له القرابين[٦]، وأقاموا له المعابد له في كل مدينة من مدن الصين[٧]، بل أصبحت زيارة الضريح الكونفوشيوسي فريضة واجبة على أتباعه، وجزءًا من شعائرهم[٨].

ولا زال أتباعه يعبدونه حتى وقتنا الحاضر، قال د. ناصر الشهراني -وهو أحد الباحثين المتخصصين في دراسة الكونفوشيوسية-: (وقد شاهدت ذلك عندما ذهبت إلى الصين، يركعون ويسجدون ويقدمون المشروبات والأطعمة، ويضعون النقود، وتقدم القرابين، وتحرق الهدايا في محرقة المعبد في عيد ميلاد كونفوشيوس، ويدعون أنها تذهب لروح كونفوشيوس)[٩].

٤- عبادة الأسلاف:

تعد عبادة الأسلاف هي المحتوى الأساسي للعبادة الكونفوشيوسية، حتى أضحت المكون الرئيسي للمعتقدات والطقوس لدى الصينيين، وصار لكل عائلة معبدها العائلي الخاص بها، تقام فيه طقوس العبادة العائلية في وقت محدد من السنة، وخاصة عند حدوث وقائع عائلية

---

(١) انظر: الأديان القديمة، أبو زهرة (ص: ٨٨-٨٩).

(٢) انظر: الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٠٤).

(٣) انظر: ديانات أخرى، أنيس منصور (ص: ٥٦)، الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٢٥).

(٤) انظر: المستطرف الصيني (ص: ٧٢).

(٥) انظر: الأديان في تاريخ شعوب العالم (ص: ٢٧٠).

(٦) انظر: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، صلاح بسيوني رسلان (ص: ٦١-٦٢).

(٧) انظر: الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٢٥).

(٨) انظر: الدين في الهند والصين وإيران (ص: ٢٢٧).

(٩) الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٢٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كالزواج، وفي الأعياد[١].

ويبدو أن هذه العبادة بدأت أولا في صورة التكريم للميت بعد الوفاة، ثم تحولت إلى عبادة، وانتشرت بين القبائل والأسر تغذيها روابط الأسرة في بلاد الصين، حتى أصبح كل الأسلاف موضع التقديس والعبادة من الجميع على السواء[٢].

٥- الموت والجنة والنار:

يرى كونفوشيوس أن الموت قدرٌ كتب على الأحياء منذ الأزل، ولذا فهو يتقبل الموت بلا وجل ولا خوف، وليست للموت في نظره أي دلالة معينة أو مغزى رئيسي[٣]، بل رفض أن يناقش موضوع الحياة بعد الموت[٤]، ولما سأله أحد مريديه عن الموت، أجابه: (إن كنت لا تفهم الحياة، فكيف يمكنك أن تفهم الموت)[٥]، و(لم يقف عند فكرة الحياة بعد الموت، وفي ذلك قال: إذا كنا لا نعرف شيئًا عن الحياة، فكيف نعرف شيئًا عن الموت وما بعد الموت؟)[٦].

والكونفوشيوسيون يعتقدون خلود الروح وبقاءها بعد الموت، وفي ذلك يقولون: (إذا مات المرء يعود جسده إلى التراب، إنما روحه تتحرك متلألئة خارج القبر تلقي فينا الهيبة والخوف)[٧].

أما الجنة والنار فلم يكن كونفوشيوس يعتقد بوجودهما[٨]، فلم يكن الصينيون القدماء يؤمنون بجنة ولا نار، ولا عقاب ولا ثواب، ولقد أخذ كونفوشيوس بكل هذه العقائد، ولم يزد عليها[٩].

ومن هنا يتضح أن الكونفوشية ليس لها اعتقاد واضح عن موضوع الحياة بعد الموت[١٠].

---

(١) انظر: الأديان في تاريخ شعوب العالم (ص: ٢٧٠-٢٧٢).
(٢) الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٢١-٢٢٢).
(٣) انظر: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، صلاح بسيوني رسلان (ص: ١٧٣).
(٤) انظر: الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي (ص: ٥٤).
(٥) المستطرف الصيني (ص: ١٧٣).
(٦) موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات (ص: ١١٢).
(٧) الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٢٣).
(٨) انظر: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، صلاح بسيوني رسلان (ص: ١٧٣).
(٩) انظر: تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة (ص: ١٢١)، الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٢٤).
(١٠) انظر: شجرة الحضارة (٣/ ٢٦٨).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

٦- القدر:

يقول كونفوشيوس: (إذا ما سادت تعاليمي فهكذا أراد الله، وإذا ما فشلت فهذا هو أمر الله)[١]، فهذا يدل على إيمانه بالقدر، ولهذا كان أتباعه يؤمنون بالقضاء والقدر، فيقولون: (إن كل الحوادث مقدرة في السماء معروفة)[٢].

لكن كونفوشيوس كان لا يرضى بالاستسلام التام للقدر؛ ويرى أنه يجب أن يتحلى الإنسان بالشجاعة في مواجهة الأحداث[٣].

ومفهوم الأخلاق عند كونفوشيوس له ارتباط قوي برؤيته للمصير أو للقدر الإنساني، فهو يفرق بين ما يسميه قانون السماء والفعل الإنساني، فالفعل الأخلاقي يعتمد على الإنسان، أما أوضاع الإنسان فمقدرة في السماء[٤].

٧- الملائكة:

يعتقد الكونفوشيوسيون بوجود الملائكة، ويقدمون إليها القرابين، على أساس أنها آلهة ذات تأثير وقدسية توجب عليهم أن يعبدوها[٥].

(١) لمحات عن أديان العالم (ص: ٣٠٣-٣٠٤).
(٢) الأديان القديمة، أبو زهرة (ص: ٨٩).
(٣) انظر: فلاسفة أيقظوا العالم، د. مصطفى حسن النشار (ص: ٥٧).
(٤) انظر: تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة (ص: ١٢٤).
(٥) انظر: الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٢٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الرابع:
العبادات والأخلاق والشعائر في الكونفوشيوسية

١- العبادات:

العنصران اللذان يتألف منهما دين الصين القومي هما: عبادة الأسلاف، وعبادة السماء، فلهذا صارت الكونفوشيوسية عبادة وديانة قائمة على كل من: عبادة قوى الطبيعة، وعبادة الأسلاف(١).

ولم يأت كونفوشيوس بعبادات وطقوس جديدة(٢)، وكان أهم ما فعله كونفوشيوس هو تشجيعه لعبادة الأسلاف الموجودة عند الصينيين(٣).

٢- الأخلاق:

الأصل الذي قامت عليه الكونفوشيوسية هو تهذيب الناس لذواتهم بما يتيح لهم أن يحيوا حياةً فيها المتعة والاستقامة معًا(٤)، وكانت غاية كونفوشيوس من فلسفته العملية إصلاح الهيئة الاجتماعية في عصره، وإحداث تجديد أخلاقي وسياسي في الدولة(٥)، ولهذا كانت الأخلاق مطلبه وهمه الأول، وكان يرى أن الفوضى التي تسود عصره فوضى خلقية(٦).

وآراؤه في الأخلاق تقوم على ثلاثة أصول:

الأول: بيان الأصل الخلقي الذي تقوم عليه الفضائل.

الثاني: إصلاح المجتمع وحمله على السلوك القويم.

الثالث: إصلاح نظام الحكم وتقييده بالفضيلة(٧).

ومن هنا دعا كونفوشيوس إلى إصلاح النفس البشرية وتكوين مجتمع سليم قوامه المحبة والإخاء والعدل والأخلاق(٨).

---

(١) انظر: قصة الحضارة، مجلد١ (٤/ ٢٥٨)، تاريخ العلم والحضارة في الصين (ص: ١٤٦).

(٢) انظر: الأديان في تاريخ شعوب العالم (ص: ٢٧٠).

(٣) انظر: قصة الديانات (ص: ٢٢٢).

(٤) انظر: الفلسفة الشرقية، تشاكرامارتي رام پراساد (ص: ١١٥)، ترجمة: وفيق فائق كريشات.

(٥) انظر: الفلسفة الشرقية، د. محمد غلاب (ص: ٢٦٢-٢٦٣).

(٦) قصة الحضارة، مجلد ١ (٤/ ٥٤).

(٧) انظر: الأديان القديمة، أبو زهرة (ص: ٩٤).

(٨) انظر: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة (ص: ١١٢).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ويرى أن السبيل الوحيد لاتقاء الشر والظلم والكراهية والعنف والقسوة إنما يكون بالعودة إلى الفضيلة الكاملة، وأن تكون الأخلاق هي الجوهر الأساسي العملي للشعب[١]، ودعا إلى المحبة والفضيلة، والولاء العائلي، والخير والعفو، ونادى بالعدالة والسلام[٢].

ويرى أن هناك خمسة واجبات على الابن البار تجاه والديه وأهله: (١) إبداء أقصى الاحترام على الدوام تجاه الأهل، (٢) أن يقدم لهم أفضل ما يحبونه من الطعام، (٣) الجزع واللهفة حين يمرضون، (٤) الأسف من أعماق الروح على وفاتهم، (٥) تقديم القرابين لهم بعد وفاتهم بمصاحبة حفل ديني[٣].

ويرى كونفوشيوس أن سعادة المجتمع تقوم على صرحٍ أساسه سعادة الفرد، وسعادة الفرد لا تتحقق إلا بالانسجام مع القانون الأخلاقي العام المسيطر على جميع الميول الأولى للكائن الحي دون استثناء، وهو الانعطاف الفطري للإنسان نحو الخير[٤].

وكان يرى أن البشر أخلاقيون بالفطرة، وبسبب هذا الخير الفطري فإنهم يعرفون الصواب والخطأ، ويستشعرون الشفقة والتوقير والتواضع ويعرفون الشعور بالخجل، وهذا يعني أن بمقدورهم التمييز بين الصواب والخطأ، وتملك ناصية الحكم الأخلاقي والشخصية الأخلاقية[٥].

ونلاحظ أن كونفوشيوس لم يبحث عن أساس الطيبة والأخلاق خارج البشر، فداخل الإنسانية ذاتها يوجد مصدر الطيبة والسعادة الإنسانيتين وبنيتهما[٦].

وبهذا يمكن القول: إن الكونفوشيوسية وجهتها دنيوية، وتركز على كيفية السلوك في الدنيا، وتنظيم هذا السلوك وفق مبادئ أخلاقية، ويسمي الصينيون هذا السلوك: طرق الحكماء أو طرق القدامى[٧]، ولهذا قرر كونفوشيوس أن آداب المجتمع أو الأخلاق السائدة هي القانون العرفي وتحل محل القانون المكتوب، وكان يقول: (إذا كان بمقدور إنسان أن يسيطر على نفسه ليوم واحد، ... فإن كل ما تحت السماء سيعود إلى الإنسانية (جين)[٨]، وممارسة الإنسانية

---

(١) انظر: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، صلاح بسيوني رسلان (ص: ١١٢).

(٢) انظر: قاموس الأديان والمذاهب، د. حسين علي حمد (ص: ١٧١).

(٣) انظر: الأديان في تاريخ شعوب العالم (ص: ٢٧٢).

(٤) انظر: الدين في الهند والصين وإيران (ص: ٢٢١).

(٥) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر (ص: ٣٥٢).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص: ٣١٩-٣٢٠).

(٧) انظر: تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة (ص: ١٢٠).

(٨) ترجمت كلمة (جين) بترجمات مختلفة، منها: الإنسانية، والفضيلة، والإحسان. انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر (ص: ٣٣٥).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

تعتمد على المرء نفسه)[١].

٣- الشعائر:

للكونفوشيوسية شعائر وطقوس عديدة، منها:

١- التأمل والتفكر ليصل الفرد إلى مرحلة الإنسان الكامل.

٢- تقديم النذور والقرابين حيث تقدم على مستوى الأسرة إلى الأسلاف، وعلى المستوى الرسمي إلى آلهة السماء والأرض والجبال والمياه والنجوم والشمس والقمر والحكام السابقين.

٣- تقديم الملك أو الإمبراطور الشكر وطلب البركة من السماء والأرض وآلهة الزراعة والأسلاف، ويؤدى على قمم خمسة جبال مقدسة.

٤- النذر السنوي الذي يقدم لشانغ تي رب السماء من قبل الملك، الذي يعتبرونه ابن السماء والكاهن الأعلى في العالم، ويحضر الملك وحاشيته أنفسهم قبل ثلاثة أيام بالصوم والصلوات بعد ذلك وبجو من الرهبة والخشوع ينحر ثورا ويقدم حجرا كريما ثم ينشد صلوات الشكر للكائن الأسمى[٢].

وللقرابين عند كونفوشيوس دلالة عظمى؛ إذ تؤكد القرابين على الروابط الروحية بين الأفراد بعضهم وبعض من ناحية، وبينهم وبين أرواح الأجداد والآباء من ناحية أخرى[٣].

وقد دعا كونفوشيوس إلى إدخال بعض التعديلات على شكل الطقوس حتى تتوافق مع الحقيقة الاجتماعية المتغيرة شريطة عدم المساس بجوهر الطقوس[٤].

وكان مضمون الطقوس فضفاضًا حيث شمل مراسم القرابين للآلهة، ومراسم الجنائز والمراسم الدبلوماسية، ومراسم الحروب ومراسم الزواج وغيرها، والمعنى الأصلي للطقوس هو عبادة الآلهة والصلاة لها طلبا للنعم الإلهية، وجسد ذلك العلاقة بين الصينيين الأوائل والآلهة، وتهدف الطقوس إلى الحفاظ على معايير الأخلاق واللياقة والشعائر الدينية داخل المجتمع الصيني القديم[٥].

---

(١) الفكر الشرقي القديم، جمال المرزوقي (ص: ٢٥٠).

(٢) انظر: لمحات عن أديان العالم (ص: ٣١٥).

(٣) انظر: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، صلاح بسيوني رسلان (ص: ١٧٠).

(٤) انظر: تاريخ تطور الفكر الصيني (ص: ٥٢).

(٥) انظر: تاريخ تطور الفكر الصيني (ص: ٥١-٥٢).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الخامس:

أماكن وجود الكونفوشيوسية وواقعها المعاصر

عندما كان كونفوشيوس في الرابعة والثلاثين من عمره كان له أكثر من ثلاثة آلاف تابع، والآن وبعد انقضاء حوالي ألفين وستمائة سنة فإن في الصين وحدها أكثر من مائتين وخمسين مليونا من أتباع كونفوشيوس(١).

ويوجد أتباع الكونفوشيوسية في كثير من دول العالم خارج حدود الصين، وينتشر معظمهم في الصين واليابان وبورما وتايلاند(٢).

وقد أحصي في الصين في بداية القرن العشرين عدد المعابد المقامة تكريسا لكونفوشيوس فبلغت حوالي ١٥٠٠ معبد(٣)، وجعلوا يوم ميلاده ٢٧ أغسطس عيدا قوميا يحجون فيه إلى مسقط رأسه، وينوب عن الدولة موظف كبير في محفل الصلاة أمام محرابه(٤).

وقد ظلت الكونفوشيوسية مدة ألفي سنة هي العصب الرئيسي لمنهج التربية والتعليم في الصين، حتى كان الإلمام بالديانة هو أحد المتطلبات الرئيسية في امتحانات الخدمة المدنية، وتأصلت الكونفوشيوسية بوصفها الفلسفة السائدة بين الطبقات المسئولة عن الإدارة، وفي المراسم والطقوس الرسمية، وما تقدم الدولة من قرابين إمبراطورية، وبهذه الطريقة أصبحت جزءا من الجهاز الحكومي، بل أصبحت عقيدة الدولة(٥).

وبعد إقامة نظام الديمقراطية الشعبية لم تعد الديانة لكونفوشيوسية في الصين ديانة رسمية للدولة، وتوقفت الطقوس والاحتفالات الدينية الرسمية(٦)، ثم في سنة ١٩٩٠-٢٠٠٠ تم إعادة تدريس الكتب الكونفوشيوسية في المدارس، وإعادة الاحتفال بذكرى مولد كونفوشيوس وتأسيس الجمعية العالمية للكونفوشيوسيين(٧).

---

(١) انظر: قصة الديانات (ص: ٢٢٤).
(٢) انظر: لمحات عن أديان العالم (ص: ٣١٧).
(٣) انظر: الأديان في تاريخ شعوب العالم (ص: ٢٧٠).
(٤) انظر: معتقدات آسيوية، د. كامل سعفان (ص: ٢٨٦).
(٥) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب (ص: ٢٦٩-٧٠).
(٦) انظر: الأديان في تاريخ شعوب العالم (ص: ٢٨١).
(٧) انظر: لمحات عن أديان العالم (ص: ٢٩٩).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ملخص الفصل الثامن

- الكونفوشيوسية مذهب أخلاقي معني بتنظيم المجتمع وفق تعاليم عن قواعد السلوك، وعن الحياة السليمة، فهي أقرب إلى الفلسفة منها إلى الديانة، وذلك حسب نشأتها الأولى، ثم تحولت إلى ديانة حتى أصبحت أم الديانات الصينية وأكثرها انتشارًا.
- المؤسس الحقيقي لها هو كونفوشيوس الذي يعد أول من أقام نسقًا فلسفيًّا حقيقيًّا عن الإنسان، وسميت الديانة بهذا الاسم نسبة إليه.
- ظهرت الديانة الكونفوشيوسية في القرن السادس قبل الميلاد، وقد اتسم العصر الذي عاش فيه كونفوشيوس بالتفكك السياسي والاجتماعي والتردي الواسع النطاق للأخلاق، ولهذا كان من الطبيعي في ضوء هذه الأوضاع أن يتجه كونفوشيوس إلى إصلاح حال المجتمع.
- الكتب المقدسة في الديانة الكونفوشيوسية نوعان: الأول: الأسفار الخمسة (وو جينغ)، وهي: (١) سفر القصائد، (٢) سفر التاريخ، (٣) سفر الشريعة، (٤) سفر التغيرات، (٥) سفر الربيع والخريف. الثاني: الكتب الأربعة (سي شو)، وهي: (١) كتاب المعرفة الكبرى، (٢) كتاب سنة التوسط، (٣) كتاب الحوارات أو المنتخبات، (٤) كتاب منشيوس. والكونفوشيوسية مع تقديسها لجميع هذه الكتب الأربعة إلا أنها لا تتمتع بنفس المكانة المقدسة التي تتمتع بها الأسفار الخمسة.
- أهم عقائد الكونفوشيوسية: ١- تعدد الآلهة، ٢- عبادة السماء، ٣- تأليه كونفوشيوس، ٤- عبادة الأسلاف، ٥- الموت والجنة والنار، ٦- الإيمان بالقدر، ٧- الاعتقاد بوجود الملائكة.
- العنصران اللذان يتألف منهما دين الصين القومي هما: عبادة الأسلاف، وعبادة السماء، فلهذا صارت الكونفوشيوسية عبادة وديانة قائمة على كل من: عبادة قوى الطبيعة، وعبادة الأسلاف.
- الأصل الذي قامت عليه الكونفوشيوسية هو تهذيب الناس لذواتهم بما يتيح لهم أن يحيوا حياةً فيها المتعة والاستقامة معًا، ولهذا كانت غاية كونفوشيوس من فلسفته العملية إصلاح الهيئة الاجتماعية في عصره، وإحداث تجديد أخلاقي وسياسي في الدولة، وآراؤه في الأخلاق تقوم على ثلاثة أصول: الأول: بيان الأصل الخلقي الذي تقوم عليه الفضائل. الثاني: إصلاح المجتمع وحمله على السلوك القويم. الثالث:

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

إصلاح نظام الحكم وتقييده بالفضيلة.

- للكونفوشيوسية شعائر وطقوس عديدة، منها: ١- التأمل والتفكر ليصل الفرد إلى مرحلة الإنسان الكامل. ٢- تقديم النذور والقرابين. ٣- تقديم الملك أو الإمبراطور الشكر وطلب البركة من السماء والأرض وآلهة الزراعة والأسلاف، ويؤدى على قمم خمسة جبال مقدسة. ٤- النذر السنوي الذي يقدم لشانغ تي رب السماء من قبل الملك.
- يوجد أتباع للكونفوشيوسية في كثير من دول العالم خارج حدود الصين، وينتشر معظمهم في الصين واليابان وبورما وتايلاند.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

نقد الكونفوشيوسية في ضوء الإسلام :

أولاً: عدم الوضوح والتحديد في كثير من القضايا: وهذه من الأمور الملحوظة على الديانة الكونفوشيوسية في كثير من قضاياها ، وعلى سبيل المثال ما اعترف به الأستاذ(مو زونغ سان) وهو من أكبر الشخصيات الممثلة للكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة، في العصر الحاضر، حين تكلم عن كتاب المعرفة الكبرى ، وهو من الكتب المقدسة لدى الكونفوشيوسية ، وله أهميته لديهم ، حيث قال: (إن كتاب المعرفة الكبرى يتكلم عن السنن الثلاث والخطوات الثماني ، وهو عبارة عن رحلة من التطبيق الموضوعي أيضا ، وقد حدد لك نطاق التطبيق العلمي الكونفوشيوسي ، ولكن هدفه غير محدد في نفسه ، فهو عدد في مغراه الرئيسي هذه السنن والخطوات التطبيقية ، ولكنه لم يوضح ما هي هذه السنن والخطوات . فعلى سبيل المثال: ورد في كتاب المعرفة الكبرى" تجليه الأخلاق المشرقة " ، ولكن الأخلاق المشرقة ؟ و ورد فيه " الاستقرار في كمال الخير " أين يقع كمال الخير في النهاية ؟ وهذه الأشياء غير موضحة في كتاب المعرفة الكبرى)

ثانيًا: فقدان صلاحية التطبيق قال (مو زونغ سان) في هذا (فما هو الموقف المناسب الذي نتخذه من كتاب المعرفة الكبرى؟ وكتاب المعرفة الكبرى عدد لك الأصول العامة للتطبيق فقط، وأما مسألة كيفية التطبيق ومسألة الاتجاه الذي يقوده إليه ذلك التطبيق فهي غير واضحة في داخل المعرفة الكبري) وإذا كان هذا في كتاب يعد من أهم كتبهم المقدسة، فكيف بكثير من الأمور التي قامت عليها الكونفوشيوسية.

وهذا الأمر غير مستغرب على ديانة وضعية لم يكن لها مستند من الوحي الإلهي وأكثر ما تستند إليه أقوال متعددة من عصور مختلفة ، حرفت وبدلت حتى توافق أهواء ورغبات معتنقيها

ثالثًا: اقتصارها على الفطرة كأساس للتخلق بالفضائل : الكونفوشيوسية ترى أن الإنسان مفطور على الأخلاق الفاضلة قطرة أصيلة. وعلى هذا الأساس ترى أن الإنسان يتطلع إلى التخلق بالأخلاق الفاضلة لأنها فطرته، فهو يتخلق بالأخلاق الفاضلة حبا للرجوع إلى فطرته الأصلية ونزوعا إلى العودة إلى طبعه الخيِّر، وهذا هو عين الفطرة الإنسانية ، وبالتالي لا يحتاج إلى مصدر خارجي يلزمه على الأخلاق الفاضلة ، لأنه حينئذ لم يطلب شيئا غير موجود في فطرته ، بل توجه إلى شيء باطن مفطور عليه الإنسان، حيث جبلَّتُه الأولى وبدايته الأصلية.

على هذا ، فإن الكونفوشيوسية لا تؤمن بالوحي المنزل من خارج الإنسان مبدأ تستمد منه فلسفتها الأخلاقية، كما لا تجعل الإيمان بالإله مصدرا للإلزام الأخلاقي على الرغم من إيمانها بأن " تيان " هو الخالق والمدير لشؤون الكون كلها.

وهذا موقف متناقض في نفسه لا يمكن أن يقبله العقل السليم ولا المنطق الصحيح، فكيف بإله سماوي يخلق الإنسان على الفطرة الخيِّرة فيتركه لتلك الفطرة من غير هداية إلى الصراط المستقيم ؟ وما الفائدة من عقيدتهم في تيان (الإله السماوي) ، وهل الفطيرة الإنسانية الخيرة تكفي وحدها أن تُحلي الأخلاق المشرقة من الإنسان تلقائيا ؟ فالإيمان الجارم بالله هو المتبع القوي والسليم لجميع الفضائل والمصدر الفعال للأخلاق الفاضلة كما يراه الإسلام.

والإنسان وإن كان مفطورا على الخير فإن فطرته النزاعة إلى الخير لا تكفي وحدها أن تأخذ بيده إلى الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة ، وقد اعترف (ليانغ شو مين) أحد كبار علماء الكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة، بهذه الحقيقة قائلا: (يعايش المسلمون الصينيين الكونفوشيوسيين في مناطق شمال غرب الصين جنبا إلى جنب ، لا يشرب المسلمون المؤمنون بالله الأفيون، ولهم كثير من العادات الجميلة في المعيشة، وأما الصينيون فسمحوا لأنفسهم بالانحطاط الأخلاقي عفوا، وذلك مع زعمهم تعظيم نبيهم كونفوشيوس)

ثالثًا: يقوم الفكر الكونفوشيوسي على أساس الحياة الدنيا فقط ؟ ولا يؤمنون بحياة بعد الموت ولا جزاء ولا ثواب ولا عقاب إلا في هذه الدنيا وهذا تصور قاصر وفهم محدود ، إذ ما الفائدة في حياة فيها الكثير من الصعاب والعقبات والكبد والمشقات التي يقضي الإنسان فيها عمره ؟ وقد نرى في هذه الحياة الدنيا من يتمسك بالعدالة ، ويتحلى بالفضيلة ويراعي حسن السلوك ، لكنه يعيش مسلوب الحقوق كسير الجناح ، ونرى من يتصف بالجور والظلم والفساد ، دون أن ينال عقابه أو يلقى جزاءه !! .

فمن العدالة أن يكون هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة التي نعيشها ليلقي فيها المحسن جزاء الإحسان ، والمسيء الظالم عقاب إساءته وظلمه ، وكلما تذكر الإنسان حقيقة هذا الأمر وما فيه سارع إلى الخير وازداد منه وتحرر من الشر ونفر منه .

وإذا كان توحيد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته وألوهيته يحرر القلب البشري من قبضة الأرباب المرهوبة فينطلق بكل حيويته وفاعليته في واقع الأرض معرضا عن الطواغيت متبرأ منهم، فإن الإيمان باليوم الآخر يحرر ذلك القلب من الأرباب المرغوبة من عبودية الهوى والشهوات فينطلق

بكل حيويته وفاعليته ليقوم بدور الخلافة الراشدة في الأرض، على المستوى الأعلى اللائق بالإنسان لا على المستوى الحيواني الذي كل همه الشهوات .

وقد ربط الله عز وجل سلوك المسلم في مجتمعه وأخلاقه نحو الآخرين وتعامله بالإيمان بالله واليوم الآخر مباشرة ، فنرى في القرآن سورة كاملة تبين أن الذين يهملون في حقوق الآخرين قوم لا يؤمنون بيوم الدين، ولهم الويل والهلاك والعذاب الأليم ، ولو كانوا مؤمنين حقا لصلح حالهم واستقام سلوكهم ظاهرا وباطنا قال تعالى في سورة الماعون: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ اليتيم ولا يحضُّ عَلَى طَعَامِ المسكين . فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ)

كذلك اشتملت السنة المطهرة على ربط السلوك وحسن التعامل مع الآخرين بالإيمان باليوم الآخر ، والثواب أو العقاب فيه على الخير أو الشر ، ومن ذلك : ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من نفس عن مؤمن كربه من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والأخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . ... الحديث " رواه مسلم .

وما هذه الحياة الدنيا مع ما فيها من الكدح والرزق والسعي والكَبَد إلا تمهيد وتهيئ لملاقاة لخالق في ذلك اليوم، الذي تتم فيه رحلة الإنسان وتختم إما بالجنة أو بالنار.

قال سبحانه {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم}

رابعًا: يغفل الكونفوشيوسيون الإيمان بالملائكة ، بحجة عدم الخلط والخطأ، وكذلك لأنهم لا يؤمنون إلا بما تراه عيونهم وتحسه جوارحهم ، أما ما وراء الطبيعة فلا يؤمنون به .

والملائكة موجودون خلقهم الله عز وجل من نور ، وقد رأى الأنبياء بعضهم ، والإيمان بهم ركن من أركان الإيمان جاء بذلك الكتاب والسنة قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}

ومن السنة: حديث جبريل المشهور الذي أخرجه مسلم والبخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عندما سأل جبريل عليه السلام رسول الله عن الإيمان ، قال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره) .

خامسًا: لم يكن الصينيون ولا الكونفوشيوسيون منهم يعتقدون بوجود الشياطين لأن الشر عندهم عرضي كما يقولون ، وليس عندهم إله للخير وإله للشر .

فأما مسألة عدم وجود إلهين أحد هما للخير والآخر للشر ، فهذه هي الحقيقة لأنه ليس هناك إلا الله الأحد الفرد الصمد الفاعل القادر المختار قال تعالى : (لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)

وأما وجود الجن والشياطين فهو ثابت بالنقل والعقل، والجن لهم إرادة عاقلة مميزة مختارة كالإنسان ، وهم مستترون عن الحواس لا يرون على حقيقتهم المجردة ، ولهم القدرة على التشكل بأشكال مختلفة ، و هم مخلوقون من لهب النار ، وهم مكلفون كالأنس فمن سمع منهم وأطاع فله جزاء الحسنى، ومن أعرض منهم عن هدى مولاه كانت له نار جهنم وساءت مصيرا . قال الله تعالى : (وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً (١٤) وَأَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً)

سادسًا: الكونفوشيوسيون – كغيرهم من الصينيين – يعبدون أرواح الأجداد، ويعبدون كونفوشيوس والعظماء لديهم ولهذه العبادات طقوس وأشكال مختلفة وذلك حسب من يقوم بها ، ولا يستوي الجميع لديهم في القيام بهذه العبادة فلكل صنف أو فئة عبادة .. .

والعبادة إنما هي الله وحده ، فالله عز وجل خلق الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}، وقال تعالى{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}، وقال تعالى {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}